أسبوعية مستقلة تصدر عن شباب إدلب وريفها | السنة الثانية | العدد (73) 2 آب 2014
www.facebook.com/ZaitonMagazine zaiton.mag@gmail.com

زيتون

لن أسامحكم

- إضاءة على الجماعات الشيعية المقاتلة مع الاسد
- زيارة للبرلمان الفرنسي أمنيات وتأوهات
- أطفال سوريا باتوا يكرهون المستقبل
- حين تضيق الأحلام لتصبح بحجم رغيف الخبز

طيران النظام يرتكب بمجزرة في دوما وإستشهاد رضيعة في سرمدا

استشهد 18 مدنياً وجرح 80 آخرون مساء الأربعاء، في قصف صاروخي لقوات النظام على مدينة دوما في غوطة دمشق الشرقية.

وذكر نشطاء أن النظام ارتكب مجزرة جديدة بحق المدنيين جراء القصف المدفعي، والصاروخي الذي استهدف تجمع الباعة، والأطفال في شوارع وأحياء مدينة دوما في الغوطة الشرقية راح ضحيتها 18 شهيداً، و العشرات من الجرحى معظمهم من النساء والأطفال، وأوضح النشطاء أن النقاط الطبية في المدينة في أقصى حالات الاستنفار، وتنادي للتبرع بالدم بسبب كثرة المصابين ونقص المواد الطبية جراء الحصار المفروض على الغوطة الشرقية.

وبث ناشطون شريط فيديو على يوتيوب يظهر أطفالاً ممددين على الأرض مضرجين بدمائهم، نتيجة القصف الصاروخي الذي استهدف تجمعهم في شوارع المدينة.

وأعلن المكتب الطبي الموحد في مدينة دوما أن 18 شهيداً وأكثر من 100 مصاب معظمهم من الأطفال هم حصيلة المجزرة.

وشمال سوريا عند الحدود التركية, استشهدت رضيعة بعد ظهر (الخميس) مع ثلاثة آخرين في بلدة سرمدا بريف إدلب، إثر غارة بالصواريخ الفراغية من قبل الطيران الحربي، وأدى القصف لوقوع عدد كبير من الجرحى، بينهم نساء وأطفال.

وعرف من الشهداء: محمد علي سليم محمد طلال برغوث، والشهيد الرابع لم يتم التعرف عليه بسبب تحول جثته إلى أشلاء.

وذكر أحد الأهالي أن فريق الدفاع المدني في البلدة، واجه صعوبة في انتشال الشهداء والمصابين من تحت الأنقاض، بسبب ضعف المعدات الموجودة لديه.

مورك " مقبرة الأرتال " في حماة

خاض الجيش السوري الحر معارك شرسة في مورك بريف حماة خلال الاسبوع الفائت، متصدياً لحملة كبيرة شنتها قوات النظام مستعينة بمئات العناصر من ميليشيا حالش، ومدعومة بغطاء كثيف من صواريخ الـ «أرض أرض» وراجمات الصواريخ، وغطاء جوي بلا انقطاع.

إرادة الثوار والتعزيزات التي وصلت والمزودة بمضادات دروع حديثة (تاو) و(كونكورس) قلبت موازين القوى خلال الاشهر القليلة الفائتة، حيث دُحرت قوات النظام، وتكبدت خسائر فادحة، حيث تمكن الثوار من قتل ٨٨٩ عنصراً من قوات النظام، وميليشيا حالش، وإصابة ٨٢٦ بجروح بالغة، بالإضافة إلى أسر ٥٦ من عناصر النظام وحالش، وتدمير ٧٤ دبابة، و٢٣ مدرعة، وإحراق ٢٦ سيارة مزودة برشاشات خلال ستة اشهر من المعارك وفق إحصائية أعدها أحد الناشطين .

جبهة مورك شهدت تحول موقف الثوار من موقع الدفاع إلى الهجوم؛ حيث حرروا عدة نقاط كانت تتمركز فيها قوات النظام جنوب وشرق المدينة، وتحرير مبنى البريد، والبلدية، والجسر لتصبح المدينة محررة بالكامل.

تجدر الإشارة إلى أنّ النظام لا يزال مستمراً بقصف جميع المدن والقرى التي تحيط بمدينة مورك بشتى أنواع الأسلحة بما فيها غاز الكلور السام، وهذه المناطق يعتبرها منطلقاً للعمليات ومركزاً لاستراحة فصائل الجيش الحر، وعلاج إصابات الثوار؛ كمدينة كفر زيتا، واللطامنة وقرية الزكاة، وقرى منطقة الازوار.

وقد أطلق الناشطون على مدينة مورك تسمية «مورك مقبرة الأرتال» و» كابوس حالش».

اعداد الأخبار: حسن وجيه قدور

الشبكة السورية لحقوق الإنسان توثق 2378 شخصاً ضحايا رمضان

قالت الشبكة السورية لحقوق الإنسان، إن شهر رمضان شهد استشهاد (2378) شخصا، في سوريا، حيث توزعت المسؤولية عن مقتلهم بين القوات الحكومية، التي استأثرت بالحصة الأكبر من الضحايا، وتنظيم «الدولة الإسلامية»، ومجموعات المعارضة المسلحة، إلى جانب حالات لم تتمكن الشبكة فيها من تحديد الجاني.

وأكد تقرير للشبكة، استشهاد (1440) مدنيا على يد قوات الأسدم (234) طفلاً، وما لا يقل عن (116) امرأة، فيما بلغ مجموع الضحايا الذين استشهدوا تحت التعذيب ما لايقل عن (142) شخصا.

وبلغت نسبة الأطفال والنساء (25٪)، من أعداد الضحايا المدنيين، في دليل صارخ على استداف قوات الأسد المتعمد للمدنيين، بحسب التقرير.

وأشارت الشبكة إلى أن القوات الحكومية قتلت ما لا يقل عن (433) مقاتلا خلال عمليات القصف، أو الاشتباك.

وكانت حصة تنظيم «داعش» من الضحايا السوريين بحسب ما وثقت الشبكة، (62) مدنيا بينهم (13) طفلًا، و(8) سيدات، وإعلامي، فضلا عن مصرع ما لايقل عن (211) مقاتلاً خلال الاشتباكات مع فصائل من المعارضة المسلحة، أو عمليات إعدام ميدانية للأسرى.

واعتبرت الشبكة مجموعات المعارضة المسلحة مسؤولة عن مقتل (19) مقاتلًا خلال اشتباكات الفصائل مع بعضها، و(98) مدنيا، بينهم (24) طفلا، و(21) سيدة.

ولم تستطع الشبكة تحديد الجهة المسؤولة عن مصرع ما لا يقل عن (115) سورياً آخرين خلال شهر الصيام.

سياج عازل في بلغاريا لمنع تدفق السوريين لأوربا

بعد أن فوجئت العام الماضي بالتدفق الكبير للاجئين السوريين إلى أراضيها، عادت السلطات البلغارية وتمكنت من السيطرة على الوضع، ولكن عبر سياسة صارمة أثارت ضجة، واختصرت الأمر بسياج طويل من الأسلاك الشائكة يقفل حدودها.

ويفترض أن يتم الانتهاء هذه الأسبوع من مد الأسلاك الشائكة التي يتجاوز ارتفاعها ثلاثة أمتار، وتمتد على طول ثلاثين كيلومترا، في الجزء الأقل ظهورا من الحدود مع تركيا التي يبلغ طولها 274 كيلومترا.

وزير الدفاع البلغاري أنجل نايدنوف: "أقول لكم بكل صراحة إنني لست سعيدا بهذا السياج".يقول ساعي البريد يفان فرانسيزوف: "تدفق اللاجئين بات أمرا واضحا جدا، هناك مجموعات تضم 50 إلى 80 شخصا تدخل فجأة إلى القرية عبر الجنوب".

وتسبب هذا التدفق بأزمة إنسانية في هذا البلد العاجز عن التكفل بالمهاجرين المتكدسين في مدارس سرعان ما تحولت إلى مخيمات لاجئين يعيشون في ظروف صحية صعبة، أو في خيم من دون تدفئة في فصل الشتاء.

غير أن المنظمات غير الحكومية انتقدت هذه السياسة، وفي مطلع الأسبوع دعت المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة البلدان الأوروبية إلى استضافة مزيد من اللاجئين السوريين، ونددت بعمليات ترحيلهم من عدة بلدان مثل اليونان وإسبانيا وبلغاريا.

بعد الماعز .. النظام يكرم قتلاه بكيلو أرز وبرغل!الأوربا

دُعي أهالي قتلى النظام إلى حفل في مؤسسة «الشهيد» بمركز الدفاع الوطني في حمص يوم أمس، وفوجئ المدعوون بأن المؤسسة المذكورة قامت بتوزيع كميات من الرز والبرغل عليهم، ولقي هذا التصرف الذي يدل على استهتار النظام بهم وبأبنائهم القتلى الكثيرَ من الاستهجان على الصفحات الموالية.

ووصفت صفحة (أسود وادي الذهب – حمص الأسد) ما جرى بأنه يمثل «قمة الذل والعار» وأضافت أن الناس جاؤوا من الضيع (القرى)ودفعوا مبالغ هائلة ليصلوا ويفاجؤوا بـ«الرز والبرغل».

وتابعت الصفحة المذكورة بلهجة ريفية: «من أسبوع ميحكو مع العالم مشان تجي ع هالمسخرة»، وعقّب كاتب التعليق: «باسمي وباسم أهالي الشهداء دم شهدائنا محفوظ ومصان عنا ومو ناقصنا رزكم وبرغلكم».

ولم تنسَ الصفحة أن تسخر من محافظ حمص «طلال البرازي» مسمية إياه «المحافز طلال العوامة» الذي من المفترض أن يحضر الحفل ولكنه مشغول بموضوع «مصالحات أخوانو المسلحين».

ووصف المشرف على الصفحة الذي كان موجوداً في حفل الرز والبرغل ما جرى هناك بالأمر غير الطبيعي لأن القيّمين على الحفل تعاملوا باستهتار مع عائلات «الشهداء «.

وزاود شخص يدعى «محمود علي» سمّى نفسه «أخ شهيد» قائلاً: «ع كل حال هي الشهادة لله عز وجل وبس مو لهشعب الجحش، وكرامتنا من الله الشهادة ومو ناطرين منن شي».

وأعادت هذه الحادثة إلى الأذهان قصة مشابهة تحولت إلى موضوع للسخرية والتندر على صفحات التواصل الاجتماعي عندما قام النظام بتوزيع رأسي ماعز جبلي لكل عائلة من عائلات قتلاه في السويداء العام الماضي وشملت هذه «المنحة» 60 أسرة ريفية من ذوي القتلى والمخطوفين والمفقودين.

من مشاهد العيد
اسطنبول يتملكها السوريون

يشعر السائر في شوارع اسطنبول شبه الخالية خلال عطلة عيد الفطر، أن ملكية المدينة ترجع لضيوفها السوريين، الذين بالكاد تسمع غير لغتهم بين أصوات المارة، خلال هذه الأيام، والسبب وفق الشاب محمود، العامل في أحد محلات الحلويات في ساحة تقسيم، أن معظم سكان اسطنبول الأتراك سافروا إلى قراهم، أو ذهبوا في عطلة العيد للاستمتاع بصفاء البحر هرباً من حر اسطنبول، ولذلك فإن شوارع المدينة صارت شبه خالية..

ويضيف الشاب: على سبيل المثال، بقيت في المحل مع زميلين لي، أحدهما سوري والآخر عراقي، في حين أن الموظفين الأتراك سافر أغلبهم لقضاء عطلة العيد بعيداً عن اسطنبول..

وبحسب محمود، فإن أغلب الزبائن الذين أقبلوا على شراء حلويات العيد من محلات اسطنبول، هم من السوريين، موضحاً أنهم اشتروا كمية قليلة، لا تتناسب مع الكميات التي اعتاد السوريون على شرائها في الأعياد، ويرجع محمود السبب إلى قلة المعايدين بين السوريين من جهة، وإلى ارتفاع أسعار الحلويات من جهة أخرى، مبيناً، أن سعر صحن «الكنافة» التركية يتراوح بين الـ 7 و 10 ليرات تركية أي مايعادل تقريباً الـ 5 $ وهو مبلغ لايعتبر قليلا على صحن يكفي لشخص واحد فقط، ناهيك عن ارتفاع اسعار أنواع الحلويات الأخرى...

ووفق محمود فإن أغلب زبائنه السوريين أكدوا له، أنهم يحاولون إشعار أطفالهم بفرحة العيد،من خلال شراء الحلويات والملابس الجديدة، إلا أنهم مهما حاولوا تبقى الفرحة ناقصة

عصابة لإستدراج منشقين سوريين
من لبنان وتصفيتهم

صحيفة النهار نشرت بعض الأحداث التي أكدها مصدر لـ«زمان الوصل» وأضاف: انشق 4 جنود عن قوات النظام صباح السبت 26-7-2014 و هربوا لاجئين لأحد المنازل بمنطقة وادي خالد (لبنان)، لكن صاحب المنزل أحمد غازي الغازي خدعهم وسلمهم للمدعو الحاج عيسى العلي الذي سلمهم للشبيح محمود خانات (الملقب غوار) وتمت تصفيتهم على الفور بعد تسليمهم لنقطة تابعة للجيش السوري على الحدود... وبحسب المصدر فقد قبضت المجموعة الخاطفة مبلغا ماليا من عملاء لنظام الأسد...

من جهتها قالت صحيفة «النهار» إن عائلة الغازي في بلدة الرامة بوادي خالد عقدت اجتماعا حضره وجهاء العشائر والفعاليات وجرى البحث بهذا الوضع القائم واصدروا بيانا استنكروا فيه عملية الخطف وأكدت العائلة بان ما جرى من عملية خطف من النازحين السوريين وتسليمهم الى السلطات السورية لقاء فدية مالية لا تمثل قيم العائلة وهي اعمال بربرية مدانة..

وأكد المصدر أن المنشقين عناصر وليسوا ضباطاً كما نشر سابقاً

الحرس الثوري الإيراني يعاني
العجز المادي نتيجة تدخله في سوريا

وزّع الحرس الثوري الإيراني وثيقة على الموظفين وطلاب المدارس والجامعات في بعض المحافظات الإيرانية لجمع التبرعات المالية لتسديد نفقة تدخل الحرس الثوري الإيراني في سوريا، كما ذكر في الإستمارات التي تم توزيعها في إيران.

وتعد هذه الوثيقة -التي حصلت صحيفة "عربي "21 على نسخة منها من مصادرها الخاصة من داخل إيران- أول وثيقة رسمية إيرانية تعكس عجز ميزانية الحرس الثوري الإيراني لتسديد نفقة الحرب في سوريا منذ بداية انطلاق الثورة السورية في 26 شباط/ فبراير 2011.

وتحتوي الوثيقة التابعة للحرس الثوري الإيراني لجمع التبرعات في إيران على حديث نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم: "من سمع مسلما ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس مسلما". وفي القسم الآخر ذكر في الوثيقة تقديم المساعدات لمقار جبهة المقاومة الإسلامية في سوريا. وفي الزاوية الأخرى كتب: "سوريا حصن المقاومة".

كما أن قائد فيلق "محمد رسول الله" في الحرس الثوري الإيراني، قال مؤخرا إن كل محافظة من محافظات إيران شاركت بدعم قوات الحرس والدفاع التي شكلتها إيران في سوريا، الأمر الذي تحدث فيه القائد السابق في الحرس الثوري حسين همداني عن تشكيل قوات شعبية في المدن السورية على غرار قوات التعبئة الإيرانية "الباسيج" وبإشراف ودعم مباشر من إيران.

ويرى المراقبون للشأن الإيراني في هذه الوثيقة أنها اعتراف صريح ورسمي من قبل الحرس الثوري الإيراني بالتدخل في سوريا، ومن جانب آخر أيضا تعكس حجم الأزمة المالية التي يعاني منها، ويمر فيها الحرس الثوري الإيراني بسبب العقوبات الاقتصادية التي فرضت على إيران ومؤسسات وبنوك وشركات الحرس الثوري الخارجية والداخلية منها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، بسبب ملف إيران النووي، وأيضا استنزافه العسكري في سوريا.

وينقسم الشارع الإيراني ما بين مؤيد للحرس الثوري الإيراني وتدخله العسكري في سوريا وهم الفئة المرتبطة مصالحها ببقاء الحرس الثوري على سدة الحكم، ومابين مخالف لهذا التدخل الذي يستنزف الاقتصاد الإيراني شهريا أكثر من مليار دولار أمريكي، والمواطن الإيراني البسيط هو الذي وحده يدفع هذه التكلفة الباهضة لحسابات الحرس الثوري الإيراني الخاطئة في سوريا، والمنطقة بشكل عام، وهم يمثلون الأكثرية التي تعاني من الفقر والحصار الاقتصادي والبطالة في إيران.

ضابط سوري منشق يخترع (بطاريات قابلة للشحن) للصواريخ المضادة للطائرات

تمكن ضابط سوري منشق من تصنيع بطاريات صواريخ يعاد شحنها يتوقع أن تشكل معضلة كبيرة بالنسبة لسلاح الطيران التابع للأسد، لكن خبراء حذروا من مخاطر هذا السلاح على الطائرات المدنية في حال وقوعه في يد (منظمات ارهابية).

وتتوافق البطاريات المعدلة مع منظومة أس أي - 7 بي الصاروخية أو ستريلا - 2 سوفيتية الصنع التي يعود تاريخ تصنيعها إلى الستينات وكانت تُنتج في بلدان متعددة بينها الصين وكوريا الشمالية وباكستان.

وقال ابو البراء الذي صمم البطاريات القابلة للشحن مرات متعددة انه كان ضابطاً برتبة رائد في سلاح الجو السوري حتى انشقاقه وانضمامه إلى المعارضة في عام 2012. وأكد ابو البراء لصحيفة نيويورك تايمز طالباً عدم كشف اسمه الكامل أن مقاتلي المعارضة السورية يستطيعون الآن حل المشكلة المتمثلة بامتلاك صواريخ أكثر من البطاريات ومشكلة المعدلات العالية لاستهلاك البطاريات حين يستخدمها مقاتلون لم يتلقوا تدريباً كافياً وخاصة على صواريخ أس أي - 7 أو «كوبرا» كما يسميها السوريون، بحسب ما نقلت « إيلاف ».

وأوضح ابو البراء «ان الحاجة الى البطارية نشأت لأن الرماة لا يتقنون استخدام صواريخ كوبرا الموجهة بل يفتحون دائرتها دون ان ينتبهوا الى حدود الوقت المتاح للرماية فيدفعهم هذا الى الاستعاضة عنها ببطارية اخرى وهكذا. واضاف «ان ما نحصل عليه في النهاية هو صاروخ بدون وحدة كهربائية» لتشغيله.

وقال ابو البراء إن البطاريات الجديدة تعمر اطول لدى تشغيلها ويمكن أن يُعاد شحنها بربطها بمقبس للتيار الكهربائي.

واعتبر ماثيو شرودر الخبير بشؤون انتشار الأسلحة في مؤسسة ابحاث الأسلحة الخفيفة في جنيف أن تصميم ابو البراء لبطارية صواريخ يمكن أن يعاد شحنها «مبعث قلق بالغ». وقال شرودر «إن صواريخ السوق السوداء غير القابلة للاستعمال حالياً لأن بطارياتها ميتة يمكن ان تصبح عاملة مجدداً بنتائج قد تكون مدمرة إذا انتشرت هذه البطاريات».

وشدد ابو البراء على انه لا ينتمي الى أي فصيل من فصائل المعارضة السورية المسلحة بل يتعاون مع جماعات متعددة بينها الجيش السوري الحر. وقال إنه اسقط طائرتين من طائرات النظام السوري باستخدام منظومات صاروخية مصنوعة في معامل بينها منظومة اف ان - 6 الصينية .

ونشر ابو البراء صوراً لبطاريته المعدلة على فايسبوك ثم اختفت فور نشرها لمدة يومين على الأقل. ولكن خبراء في شركة كونفليكت ارمامينت ريسيرتش لأبحاث السلاح نسخوا الصور قبل اختفائها وأطلعوا صحيفة نيويورك تايمز عليها. وبعد ان عادت صفحة ابو البراء على فايسبوك إلى الظهور وافق على اجراء عدة مقابلات معه عبر سكايب للحديث عن تصميمه وتوفير صور وشريط فيديو لنسخة جديدة من بطاريته.

وقال نيل جبسون الخبير بالصواريخ في مجلة جينز البريطانية المتخصصة بالشؤون الأمنية والعسكرية بعد دراسة تصميم البطارية انها صالحة للعمل. واعلن جبسون «ليس هناك سبب يحول دون عملها».

وقال ابو البراء انه قرر ان يصمم بطارية جديدة بعد سماع ان جماعة احرار الشام الاسلامية انتجت بطاريات لصواريخ ستريلا وان البطاريات كانت كافية لاطلاق الصاروخ، ولكن الصواريخ كانت تفشل في اداء مهمتها بعد اطلاقها بعدم تعقب الطائرة وانحرافها في الجو. وأضاف «أن صواريخ كثيرة هُدرت بهذه الطريقة».

وكشف ابو البراء مكونات تصميمه قائلاً «ان اختراعي الذي اعاد الحياة الى صواريخ كوبرا يتكون ايضاً من اسلاك كهربائية أخذت من جاري ابو البعد ومن مواسير ماء بلاستيكية تالفة» اضاف اليها «اجهزة الكترونية من راديو مكسور ومكثّف من ثلاجة قديمة».

وقال «ستضحكون لو رأيتموني وأنا اقوم بتجميعها».

واتفق الخبيران جبسون وشرودر على ان تصميم ابو البراء يصلح لصواريخ أس أي - 7 لكنه لا يمكن ان يُستخدم في تصنيع بطاريات لمنظومات أحدث.

وأقر ابو البراء بذلك مشيراً الى انه يعمل خطوة خطوة .

وأعلن انه يصطاد طائرات النظام السوري بصاروخ ستريلا مجهز بالجيل الثاني من بطاريته وانه سدد منظومته صوب طائرة نفاثة. وكانت بطاريته كافية لتشغيل المنظومة، ولكن الطائرة كانت تحلق على ارتفاع شاهق فامتنع عن اطلاق الصاروخ.

اعتداءات وقتل لسوريين في لبنان وشبكات لخطفهم وتسليمهم للنظام

قتل رجل سوري مساء اليوم الأحد في مدينة طرابلس بلبنان إثر طعنه بسكين عدة طعنات أدت إلى نزف شديد ومن ثم إلى وفاته.

علاء الدين محمد شاب سوري لاجئ قصد لبنان هرباً من براميل الأسد وصواريخه قضى طعناً ضمن ظروف غامضة حتى اللحظة دون أن يعرف أي تفصيل عن ملابسات الجريمة.

وقد بدأت الشرطة اللبنانية بالتحقيقات والبحث حول هوية الفاعل وسبب ارتكاب الجريمة، إذ أنها ليست أول جريمة ترتكب بحق السوريين اللاجئين في لبنان، ولم ينس الجميع الجريمة التي حدثت منذ شهور عندما قتل طفل طعناً بعد اغتصابه ورمي في حاوية القمامة، إذ تبين وقتها أن مراهقاً قام باغتصابه ومن ثم قتله.

كما تعرض الطفل السوري خالد منذ أسابيع في لبنان للضرب من قبل طفل آخر قام بتحريضه والده للهجوم على الطفل السوري وضربه بالعصا، دون أية أسباب واضحة سوى الدوافع الطائفية لا اكثر، حيث تعهد القضاء اللبناني بمحاسبة والد الطفل الذي قام بالضرب، كما استنكرت عدة جهات لبنانية هذا الحادث.

ويتعرض السوريون لاعتداءات مختلفة في بلدان اللجوء وخاصة في المناطق التي تتميز بتنوع طائفي، كلبنان وجنوب تركية، حيث تعرض سوريون في أنطاكية لبعض الاعتداءات في وقت سابق، إلا أن الحكومة التركية تختلف عن باقي الحكومات كونها تشدد على هذا الجانب، وتفرض عقوبات مشددة بحق من يعتدي على سوري، وتكون العقوبات عادة بالسجن والغرامات المالية الضخمة.

ومن ناحية أخرى كشف عضو كتلة المستقبل النائب معين المرعبي عن وجود شبكة لخطف المعارضين السوريين وتسليمهم لشبيحة النظام السوري.

وأشار المرعبي في تصريح إلى عملية جرت في الساعات الماضية في منطقة وادي خالد وتحديداً ما يُسمى بمنطقة "خط البترول"، حيث قام عدد من المتعاونين مع الشبيحة، بتسليم شخصين أو أكثر إلى يد المدعو "أبو عيسى" الذي يملك منزلاً على ضفاف النهر الكبير من الجانب اللبناني، ما اضطر الأهالي في تلك المنطقة إلى اعتقال سائق السيارة ويُدعى صدام الغازي، فتم تسليمه للجيش اللبناني بعد اعترافه بوجود أشخاص آخرين مخطوفين وسيتم تسليمهم إلى الشبيحة، مشبهاً ما يجري اليوم بالعمليات السابقة التي حصل فيها تحذير بعض المطلوبين وخطفهم ومن ثم تسليمهم إلى النظام السوري.

من جهة ثانية وصف المرعبي اعتقال الشيخ حسام الصباغ واتهامه بالانتماء إلى تنظيم القاعد بالظلم والتجني، قائلاً إن اعتقال الصباغ اعتقال للوسطية والعقلانية.

وأشار إلى أن معرفته به كانت من خلال اللقاءات والاتصالات مع القادة الأمنيين من جيش وقوى أمن داخلي، كاشفاً أن أحد ضباط المخابرات ذكر أمام شخصية وزارية وأخرى دينية بأنه ينوي اعتقال الصباغ، ما يعني أن هذه العملية مدبرة.

وأضاف المرعبي: "لو كان الصباغ على ارتباط بالقاعدة كما يدعون، لما كان يظهر بهذه الطريقة وعلى العلن، مع العلم أنه يدرك تماماً ما جرى للشيخ عبد الواحد ورفيقه على أحد حواجز الجيش في عكار".

زيارة للبرلمان الفرنسي

أمنيات وتأوهات

عبد الكريم أنيس

في فيلم shawshank redemption يقوم بطل الفيلم المعتقل بجريرة جريمة قتل زوجته، البريء منها، كبراءة الذئب من دم يوسف، بمواصلة الحفر، لعشرين سنة مريرة، حتى يصل لشبكة المجارير وبالتالي ليمر عبر جدرانها القذرة لمسافة طويلة يختبر فيها أقسى أنواع المرور المرير كي يحصل على حريته المسلوبة، بغير وجه حق، أخيراً.

يبدو الوضع في سوريا، ابان الثورة السورية، ثورة الكرامة، أشبه بهذا الفيلم، الذي اختصر خمسة عقود من حكم نظام الأسد الأب والأخ والابن. في حقيقة الأمر، لم يترك أحد من المذكورين السابقين جريمة ولم يرتكبها سواء في حماة وباقي المدن السورية، وهذه الجرائم اتضح انها ذات ذاكرة حديدية لا تموت بالتقادم، فقد خرجت من تحت الأقبية المصمتة ومن تحت ركام المقابر الجماعية أصوات المقهورين والمقتولين غدراً، في جلسات التعذيب الممنهجة، التي كان يقوم بها النظام المجرم بشكل روتيني، ويحسب أنه لن يكون من ورائه محاسب ولا مسائل، ولكن قروح الظلم والطغيان لم تتأخر حتى أطلت بصوتها الضعيف حتى بات طوفانا أطاح بهيبة النظام السوري القمعي الجبان.

لقد طال عمر الثورة السورية، ونجح النظام السوري المحنط، حتى الآن، في جر الثورة السورية لكل السيناريوهات التي طرحها في خطاب بثينة شعبان مستشارة الرئيس في الاسبوع الاول للتظاهرات التي بدأت في سوريا بشكل محدود، وانتشرت بعد ذلك لتعم طول البلاد وعرضها.

جرّ النظام الثورة، لطورها المسلح، بعد أشهر طوال من المطالبات السلمية بتسليم السلطة، للجهات المدنية، ومحاسبة المجرمين. وقعت البلاد في خضم الفوضى الفكرية ، الدينية، وضمن أتون الصراعات الدولية على المصالح الاستراتيجية، وعلى اثر هذا الوضع يستمد النظام قوته الظاهرية، من كونه القوة التي لا تزال تحافظ على هيكليتها في مواجهة مجموعات غير متسقة، وقعت أسيرة الجهات الممولة التي باتت تنقل صراعاتها البينية، لداخل الهيكليات التي نشأت لدعم الثورة السورية ووقع في ذلك غالبية المعارضين السوريين بوعي أو دونه. ولكن يبدو حتى الآن أن الثورة السورية تمكنت من حفر جدار السجن الكبير وهي تمر عبر شبكة المجارير بكل أشكال القذارات التي تسكنه وهي ماضية باتجاه النفق الأخير الحتمي لترى النور مهما خفت أداءها وحتى لو استطاع النظام اخمادها عسكرياً فستظهر له من تحت الرماد. فقد أجبرته الثورة حتى الآن، اعلامياً على الأقل، أن يبتعد عن تمجيد الأب القائد واختصار الوطن باسمه الا في حالات حرجة غير منضبطة وأجبرته وللمرة الأولى وخلال خمسين عاماً من وجود كومبارسات شاركته كوميديا الانتخابات الرئاسية. وظهر ما يسمى رابط الوطنية بين مؤيديه تلك التي تخاف على سوريا من الغرباء، ولكن مستوى الانسانية لم يرتق لديها حتى الآن كي تكن عطفاً على إخوانها الذين تتساقط عليهم كل أنواع الأسلحة من البر ومن السماء بكل وحشية وبكل برود.

لم يعد لدي المزيد من الدموع كي أسكبها، حين دعيت مع الوفد الذي حضرت معه، لحضور اجتماع للبرلمان الفرنسي، حيث كان أعضاء مجلس الشعب الفرنسي، يستجوبون فيه الحكومة الفرنسية، عن الأمانة التي سلموهم اياها، واستغرقت الجلسة ساعة كاملة، وكانت جلسة عاصفة، تبادل فيها كل الأطراف، بمختلف توجهاتهم الحزبية والفكرية والاثنية، شؤون الوطن والمواطن، بكل ندية وحرية، واستجوب فيها النواب أعضاء حكومتهم، عن حالة التراجع الاقتصادي التي تمر فيها البلاد، وعن السياسات الحكومية ازاء هذا التراجع ومدى قدرة الحكومة على الاحاطة بهذه الأوضاع.

لقد تجولت بعيوني من على منصة الضيوف، ولعل من الواجب هنا أن أذكر أنه يحق للشبان الصغار أن يحضروا جلسة برلمانية تعطيهم درساً في السياسة وعمن يمثلونهم، وحضر الجلسة يوم ذاك وفدان من كوريا الجنوبية والسودان، وشاهدت صنوفاً مختلفة من الفرنسيين البرلمانيين، بيض وسود، نسوة ورجال، شبان ومتقدمين في العمر، يسار ويمين، يجلسون في مكان واحد، (مع تحفظ أنهم كانوا يجلسون حسب زمرهم التحزبية) فاليمين كان يجلس كتلة واحدة على اليسار، حوالي اربعين في المئة من الحضور، واليسار كانوا يجلسون بشكل أقل تجمعاً، وتنبأت ذاك التقسيم، من طريقة تعاملهم مع الحكومة وطريقة استجوابها.

كان الأعضاء يشجعون أو يعترضون على مجريات الحوار، تارة تنتابهم موجة التشجيع والاطراء، وأخرى يمتعضون على خطاب أحد الأعضاء أو رد أحد الوزراء. كان المبنى أنيقاً وغير متكلف والمقاعد بسيطة، على عكس البذخ المعروف عن الفرنسيين ابان الملكية الفرنسية، وتغيب عنها وسائل التكنولوجيا التي نشاهدها عادة لدى بعض البرلمانات الثرية. تبادل الأعضاء بينهم الرسائل بطريقة تقليدية عبر تسليمها لأحد (أمناء السر) لم أسأل عن موقعهم الوظيفي في البرلمان، حيث كانوا يجلسون بطريقة بروتوكولية كلاسيكية، ينتظرون أن يطلب اليهم تأدية خدمة وبذلك يضمن البرلماني أن رسالته التي يرسلها للبرلماني الآخر لا يمكن اختراقها على الأقل تكنولوجياً (كان هذا تفسيري الشخصي)

ونظرت للسقف فإذا به من الزجاج، انتابتني مخاوف من أن يعرف النظام السوري ذلك، سيما أنه يلاحق كل من يتحدث عن الحرية وخطر لي أن الطائرات السورية لجيش النظام، بإمكانها أن ترسل برميلاً أو صاروخاً ، بإمكانه أن ينتزع أرواح كل أولئك الخونة، الذين طالبوا أو يطالبون بالحرية، والذين لديهم القدرة على أن يفتحوا نيران نقدهم على أي حكومة لا تقدم نجاحا

، بناء على جدول أعمالها التي وصلت بموجبه لسدة حكم البلاد، فكيف لهؤلاء (العراعير) أن ينتقدوا رئيس مجلس الوزراء، وحتى رئيس الكهنوت الأكبر، رئيس البلاد المفدى والمعظم، الذي تحرق فدى لحذائه كل العباد والبلاد؟! أخبرت صديقاي بخاطرتي فانفجرا بالضحك وانفجرت بأداء المقارنات، في قياس لا يجوز على نقيضين .

لا يمكن أن أنسى تقليد الدقيقتين، حيث لاحظت أن أي متحدث ينبغي أن يكون من القدرة على افهام رسالته في مدة لا تزيد عن دقيقتين، حتى لو كان رئيس الوزراء، والا فيقطع عنه الصوت ويصبح كلامه غير مسموع لبقية الحضور، وتذكرت على الفور الخطاب التاريخي لوزير خارجية النظام، وليد المعلم، وكيف حاول الجميع اقناعه أن زيادة فصاحته في الدفاع عن نظامه لن تزيد لرصيده سوى المزيد من الحديث عن حالة البلوة التي ابتلي بها الشعب السوري طوال سنين طويلة من نظام لا يريد الا أن يتحدث ويسمع صوته ولا يمنح الآخرين حق الانصات المفروض عليه لتصحيح كبواته وتقصيره.

غادرت من جفني دمعة لم تعرف لها طريقاً سوى لفمي ليزداد طعم الملوحة فيه تعباً وشقاء وحرماناً من بعد أيام خمسين، منع عني الماء وعن عشرات الالاف من المواطنين المدنيين أطفالاً ونساء وشيوخ، كما منعت الكهرباء وباقي الاحتياجات اليومية والأساسية للمواطن المدني وتذكرت منزلي المتهدم المقصوف مرتين من نظام جبان يتجرأ على المدنيين وتذكرت كل القباحة التي لحقت بمبان حلب الجميلة والتي تركتها خلفي منذ يومين اثنين، وكيف أصبح الجمال قباحة، في حلب أم الشهداء، وخطر ببالي الغوطة المحاصرة، وكيف أنها تأكل من ورق الأشجار، وقفز لذهني مخيم أهلنا في اليرموك، وحالات التجويع الجماعي، لشعب قال أحدهم فيه من شدة الجوع: أرسلونا لليهود، علهم لا يمنعون عنا الطعام والشراب. تذكرت كيف أن صوت الطائرات بات يسبب لكثير من السوريين ضغطاً نفسياً كبيراً غير معروف مدى ضرره في المستقبل القريب. لقد حدثت بنا كل تلك الويلات، فقط لأن الشعب تجرأ وقال للنظام أصلح من نفسك، وعند الاعراض، ازداد جبروتاً، وتجرأ على دماء المواطنين الأبرياء، علناً، وفي الشوارع، قال الشعب له ارحل واكفنا بلاء قد يحيط بالبلاد، ولكنه أعرض واستمر بسفك الدماء، وجلب الغرباء من وراء الحدود، وفتح علينا كل أنواع المحن والشدائد، وألحق بدورنا الخراب وبأهلنا التشريد. حدث كل ذلك فقط لأننا كنا نحلم أن يكون لدينا برلمان شبيه بتلك البرلمانات الحية، التي قد لا تتعاطف مع قضايانا، الا من منطق المصلحة، ولكنها حقاً لا تجرؤ على خيانة مواطنيها.

لقد دفع الأوربيون ثمناً كبيراً للتخلص من طغاتهم ستين مليوناً من الضحايا وخراباً للبنية التحتية في المدن الرئيسية التي أضحت بعضها خرائب من شدة القصف والتدمير وتبع ذلك ازدهاراً كبيراً للحرية والبناء وانتعاش الاقتصاد، فتعافت المدن التي أصبحت خرائب، وأضحت حاضرات من جماليات العمران العالمي، بعد أن مروا أيضاً من ذات المجرور الصحي الكريه، باتجاه الحرية، كبطل الفيلم ذاك. وهكذا أرى في مخيلة، قد لا أبقى حياً كي أراها، إذ لا أعرف أي برميل مكتوب على ظهره اسمي، مدن سوريا المدمرة، زاهرة بعد طول جراح، في مستقبل قد يكون قريباً، ان شاء الله.

حين نعيد إنتاج الماضي عبر الحاضر
قصة مدينتين : بين مونستر والرقة!

مصطفى الجرف
صوت راية

في الخامس والعشرين من شباط من عام 1534(وليس من عام 2013!)، تمت السيطرة على مدينة مونستر الألمانية (وليس مدينة الرقة السورية!)، من قبل مجموعة من المتعصبين من جماعة اللامعموديين، وهي طائفة متطرفة من البروتستانتية المسيحية (وليس من قبل جماعة الدواعش التي هي طائفة متطرفة من المسلمين السنة) والذين أقاموا فيها نظاماً من الديكتاتورية الدينية.

أولئك الذين رفضوا من السكان أن يعاد تعميدهم كما تقتضي العقيدة الدينية لهذه الجماعة، تم طردهم خارج المدينة دون طعام أو أمتعة في وسط عاصفة ثلجية. قام النظام الديني الجديد بإعادة هيكلة الحكم المحلي في المدينة عن طريق إلغاء كل الديون، وإحراق الوثائق المالية، ومصادرة الطعام والمال وكل الأشياء الثمينة. لقد تم فرض طغيان أخلاقي جديد على المواطنين، من أبرز أمثلته إحراق كل الكتب في المدينة ما عدا الإنجيل. عدم احترام المقدسات، لغة الشجار، توبيخ أحد الوالدين، النميمة، ال1 لزنا، وحتى مجرد التذمر، كل هذه الأفعال كانت تعتبر أخطاء قاتلة وتعاقب بالموت. أدخل نظام تعدد الزوجات، وأمرت النساء العازبات بالموافقة على الزواج من أول شخص يطلب منهن ذلك. وتم إعدام تسع وأربعين امرأة وتقطيع أوصالهن، لأنهن رفضن الامتثال لهذا القانون. تم فرض نظام صارم للباس، وكانت البيوت تفتش بشكل دوري للبحث عن السلع الفائضة من أجل مصادرتها.

لم يطل الوقت حتى وصلت أخبار البلاء الذي وقعت فيه مدينة مونستر إلى العالم الخارجي في ذلك الوقت. الأسقف الكاثوليكي فرانز فان والدك، الذي نجح في الفرار من مونستر، تمكن من تجهيز جيش من المرتزقة (الصحوات!) أحاط بالمدينة وألقى عليها الحصار. مع اشتداد الحصار، هيمن الاضطراب والفوضى على المدينة. ومن بين صفوف المتمردين اللامعموديين ظهر قائد اسمه جون بيوكلز من لايدن، وعرف على نطاق شعبي باسم "جون اللايدني" (وليس أبو بكر البغدادي!).

2كان من أول ما فعله هذا الزعيم أنه دعا إلى اجتماع عام للبلدة (وليس إلى صلاة الجمعة!) حيث أعلن فيه: "لقد اختارني اللّه الآن لأن أكون ملكاً (ليس خليفة!) على كل العالم.. ولكن ما أفعله أنا مأمور بفعله، لأن اللّه قد انتخبني من أجل هذه الغاية. أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، دعونا نشكر اللّه على هذا".

مع تقدم الحصار حلت المجاعة، وحاول جون الحفاظ على سيطرته عن طريق اختلاق اندفاعات رؤية بصورة دورية، يستحضر فيها أجزاء من النص المقدس. عندما لم يكن هذا كافياً، كان تطبيق القوة العارية أسلوبه المعتاد؛ كل اعتراض كان يسحق بدون رحمة. بعد محاولة انقلاب فاشلة، أشرف جون على عمليات التعذيب وقطع الرؤوس للمتآمرين (وليس المرتدين!). تم دفن الجثث في مقبرتين جماعيتين في سوق المدينة (وليس على أطراف بلدة أطمة شمالي إدلب!).

تكررت الإعدامات وتقطيع الأوصال، وكانت جثث القتلى تعلق على الأشجار وعلى البوابات لتكون عبرة للآخرين.

3في الخامس والعشرين من حزيران من عام 1535، أي بعد ستة عشر شهراً من سيطرة المتمردين، تم تحرير مونستر أخيراً. تمكنت قوات الأسقف من القبض على جون اللايدني حياً، وعلى مدى الستة شهور المقبلة كان يساق مقيداً بالسلاسل من قرية إلى قرية عبر شمال ألمانيا كأسير حرب. في الثاني والعشرين من كانون الثاني من عام 1536، أعيد مجدداً إلى مونستر، وتم في احتفال عام هناك تم تعذيبه حتى الموت باستخدام قضبان من الحديد المجمّر. تم وضع جثته بعد ذلك في قفص ترك ليتدلى من فوق كنيسة القديس لامبرت. يقال أن هذا القفص ما يزال معلقاً في مونستر حتى اليوم.

إن استدعاء هذه الحادثة التي تشكل نموذجاً لحركات التطرف الديني التي شاعت في القرن السادس عشر المسيحي، مهم جداً لإلقاء الضوء على الحركات الدينية المتطرفة التي تعم العالم الإسلامي حالياً، خصوصاً إذا تذكرنا أن الإسلام يعيش الآن في النصف الأول من قرنه الخامس عشر الهجري. لا يمكن لهذا التشابه الشديد، بين أتباع جون اللايدني في شمال ألمانيا وأتباع أبي بكر البغدادي في شرق سوريا، والذي ألمحت إليه عند سرد حادثة مونستر، أن يكون مجرد صدفة لا معنى لها.

4أزعم أن هذا التشابه العرضي يعود إلى شبه أصلي بين الحالة القلقة والمضطربة التي كانت تمر بها أوربا المسيحية في القرنين الخامس والسادس عشر، أي قبل بداية عصر التنوير ثم الثورة الصناعية ودخول العصر الحديث من جهة، والحالة القلقة وشديدة الاضطراب التي تمر بها منطقة الشرق الإسلامي منذ بدايات القرن العشرين، والتي يبدو أنها تصل إلى ذروتها في هذه الفترة، مطلع القرن الواحد والعشرين.

أي إن القاسم المشترك هو خضوع كلا المجتمعين لتحولات عميقة في جميع المجالات. لقد شهدت أوربا منذ مطلع القرن السادس عشر ظهور الأسئلة الأساسية عن علاقة الكنيسة والدولة والمجتمع، والاعتراض على انحرافات الكنيسة الكاثوليكية وفساد رجال الدين، هذا الاعتراض الذي أنتج تياراً دينياً جديداً هو المذهب البروتستانتي. وشهدت كذلك انتشار الاكتشافات العلمية واستطلاع ما وراء البحار، وما رافقها من الدخول في العصر الرأسمالي والاستعماري بشكل جدي وحاسم. أضف إلى ذلك نمو المدن وزيادة نسبة التحضر وانتشار الطباعة الذي جلب معه أفكاراً جديدة وأشعل روح التساؤل والبحث، وبشكل فائق الأهمية جعل الكتاب المقدس منتجاً ديمقراطياً متاحاً لعامة الناس بلغتهم المحكية التي يفهمونها، بحيث أمكن لأي رجل عادي أن يقرأه وأن يكوّن عقيدته الدينية والسياسية بنفسه بعيداً عن سلطة الكهنوت المكرس.

هذه ليست مبالغة أبداً، لقد اعتبر الفيلسوف الإنكليزي هوبز أن قدرة العامة على قراءة الإنجيل من أحد الأسباب الرئيسية لاندلاع الثورة الإنكليزية 1640-1660. يمكن مقارنة كل هذا مع ما شهدته منطقة الشرق الإسلامي طوال فترة القرن العشرين، وخصوصاً منذ نصفه الأخير وحتى اليوم، من تغيرات اجتماعية وسياسية عميقة عانت منها جميع المجتمعات الإسلامية: نهاية عصر الاستعمار وما تبعه من ظهور عدد كبير من الدول المستقلة إسمياً، لم يكن لسكان أغلبها أي دور في بنائها؛ صعود لعسكر وتكرر ظاهرة الانقلابات العسكرية؛

الحروب بين الدول؛ الثورات؛ الفورة النفطية؛ التدخلات الخارجية؛ الزيادة الكبيرة في عدد السكان ونمو التحضر، وما يصاحبهما من تغيرات سوسيو-اقتصادية ومن تفاقم عدم المساواة. إن قوى العولمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية قد ساهمت إلى حد كبير في تغيير طريقة الحياة التقليدية للمجتمعات الإسلامية، وإن هذا التغيير السريع معطوفاً على الغياب الكامل للديمقراطية في هذه المجتمعات قد أدى إلى انتاج كثير من الرضوض الاجتماعية، وأكثرها أهمية ظاهرة التطرف والأصولية الدينية.

القصة الرئيسية إذاً في الحالتين هي قصة المرور الصعب والمؤلم إلى الحداثة، وبشكل أدق هي ما يسميها الفيلسوف تشارلز تايلور "وعكة الحداثة"؛ تلك الحالة العامة من الضيق والارتباك والشعور بالضياع والخوف، عندما تبدأ عملية التحول إلى الحداثة في تدمير البنى الاجتماعية والفكرية التقليدية وما كانت تقدمه من شعور بالاستقرار والأمان؛ تفكك جماعات القرابة وعلى رأسها الأسرة؛ تراجع السلطة الأبوية، وسلطة النخب السياسية والفكرية والدينية المكرّسة؛ انتشار الجريمة وتعاطي الكحول والمخدرات وارتفاع نسبة الطلاق؛ طغيان الفردية بشكل خاص وفقدان المعنى للهويات الجمعية القديمة مع البحث من جهة أخرى عن إعادة تكوين الهوية من جديد. هنا يتقدم الدين بوصفه ملجأ أميناً يقدم دواء قديماً ومجرباً لعلة حديثة، مع ضمانة إلهية أكيدة.

6هناك كما هنا، كان صعود الحركات الدينية رد فعل على تقدم الحداثة. وهناك كما هنا، حاربت هذه الحركات وتحارب الآن كل ما تتضمنه الحداثة من علمانية وديمقراطية وفردانية ورأي مستقل حر. والأكثر دلالة من كل ذلك أن عملية التحول هذه قد ترافقت، هناك كما هنا، بحرب مذهبية طويلة وأليمة؛ داخل المسيحية هناك، وداخل الإسلام هنا. إن من يعتقد أن الصراع الدائر في سوريا هو مجرد صراع سياسي على السلطة بين مكونات اجتماعية مختلفة، أو أنه مجرد صراع جيوبوليتيكي بالنيابة بين قوى إقليمية ودولية ذات مصالح مختلفة، لا يرى إلا جزءاً فقط من الصورة. الصراع يدور أيضاً بين السنة والشيعة والعلويين على معنى الإسلام نفسه، وهو بهذا المعنى صراع الإصلاح الديني كما حدث في أوربا مطلع القرن السابع عشر. الإصلاح الديني شكل الأساس لكل الثورات الحديثة في أوربا فيما بعد كما يؤكد تشارلز تايلور؛ إنه "أم الثورات"! عند دراستهم للحركات الدينية المتشددة في أوربا، بيّن علماء الاجتماع والسياسة الغربيون، وعلى رأسهم المفكر مايكل والزر، كيف أسهمت تلك الحركات في تعميم الحداثة ونشرها وادخال أوسع الفئات الاجتماعية فيها، وكيف زرعت بذور الحداثة، بدون أن تقصد ذلك طبعاً، في أشد المناطق تقليدية وأكثرها بعداً عن التأثر بالأفكار الحديثة، وكيف تم هذا خلال حربها بالذات على مظاهر الحداثة. هل يصح مثل هذا القول عن الحركات الإسلامية المتشددة اليوم في سوريا؟ لا يمكننا الجواب على هذا السؤال الصعب بسهولة هنا، ولكن علينا قبل محاولة الإجابة أن نفهم على الأقل أن الحداثة هي تجربة اجتماعية معاشة، وليست وصفة جاهزة يمكن تلقينها للجاهلين المتخلفين بعد تعلمّها من الكتب الأجنبية المترجمة.

لقد قطع المثقفون لدينا المراحل بسرعة كبيرة جداً حتى وصلوا الآن إلى مرحلة ما بعد الحداثة، وباتوا يشغلون أنفسهم بنقدها على اعتبار أنها أصبحت معطى منجزاً وكاملاً يجب تجاوزه وكشف أخطائه. وعلى العكس فإن ما أقترحه هنا أن نتركهم هناك، وأن ننظر بتواضع أكبر إلى ما يجري تحت أعيننا من المحاولة الجدية الأولى، والتي تشارك فيها جميع الشرائح والفئات في المجتمع الإسلامي، من أجل الهجرة أخيراً من العصور الوسطى للإسلام، والدخول للمرة الأولى في عصر الحداثة. يحتاج هذا القول إلى شرح وتفصيل أكبر، ومكانه بالتأكيد في مقال آخر.

إضاءة على الجماعات الشيعية المقاتلة مع الأسد

مهند النادر

إن وجود أبناء الطائفة الشيعية في سوريا ارتبط بنشوء المذهب الشيعي وانتشاره في العديد من المناطق التي كانت تحت سيطرة الحكم الأموي، وهو وجود محدود بالنسبة لتعداد سكان سوريا إلا أنه بدأ بالتنامي وزيادة الفعالية الطائفية مع سقوط الشاه في ايران واستلام الخميني الحكم هناك التي كانت علاقته مع الأسد الأب جيدة، وبدأت الحملات التبشيرية الشيعية بالعمل في كل العالم ومنها سوريا أيضاً والتي بدأ تأثيرها يظهر للعيان في نهايات حكم الأسد الأب واشتد بشكل أوسع مع تولي بشار الأسد للحكم حيث تم افتتاح اثنتا عشر حوزة «حسينية» وثلاث كليات للتعليم الشرعي وفق المذهب الشيعي في دمشق. مما يدل على تطور العلاقة بين ايران وسوريا من علاقة ندية إلى حد ما إبان حكم الأب إلى علاقة سيطرة وتبعية تجلت في العديد من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع بدء حكم الأسد الابن.

مع بدء الحراك الشعبي في سوريا الذي خرج مطالباً بالكرامة والحرية والذي تمت مواجهته بالعنف والقوة الأمنية والعسكرية التي أودت بحياة الآلاف من السوريين, واعتقال مئات الآلاف ورميهم في غياهب السجون وتصفيتهم داخله. خسر النظام الكثير من ضباط وعناصر الجيش نتيجة الانشقاقات التي حصلت بسبب رفضهم لما يمارسه من قتل تدمير وانحيازهم إلى

جانب شعبهم، إضافة إلى الخسائر الكبيرة التي تعرض لها في صفوف قواته جراء المواجهات مع مقاتلي الثورة السورية. هذا النقص في تعداد المقاتلين العاملين على الأرض وعدم القدرة على تغطية وحماية مناطق تواجد النظام أدى إلى تطوير التدخل الإيراني في الشأن السوري بأن أوعز لحزب اللّه والميليشيات الشيعية العراقية وغيرها إلى إرسال المقاتلين إلى سوريا تحت عناوين وشعارات طائفية وسياسية مختلفة أبرزها حجة الدفاع عن المقامات الشيعية .

تنوعت الجماعات والعناصر التي تقاتل بجانب الأسد في مواجهة الشعب السوري من لبنانية إلى عراقية إلى إيرانية إلى أفغانية، ويبقى الدور الذي يقوم به حزب اللّه اللبناني «الغني عن التعريف» هو النوعي والمميز بين كافة الجماعات الأخرى والذي بدأ مع بدايات الحراك على شكل مستشارين ومدربين عسكريين وأمنيين يدربون قوات من الجيش السوري على حرب الشوارع, انتقالاً إلى الانخراط المباشر والعلني في العديد من المعارك التي تكبد خلالها المئات من القتلى وبدا وجوده واضحاً للعيان في مختلف المناطق يسيطر عليها النظام حيث ترفع رايات الحزب وصور أمينه العام على الحواجز والمواقع التي يسيطر عليها.

أما المجموعات الأخرى فإن دورها وحجمها يختلف من واحدة إلى أخرى وسنحاول إلقاء الضوء عليها لمعرفة دورها في هذه الحرب المستعرة في سوريا وأهمها المجموعات العراقية.

لواء أبو الفضل العباس:

تواجد عناصر اللواء في بدايات 2012 في منطقة السيدة زينب جنوب مدينة دمشق والتي تضم مقام السيدة، ظهر عناصره كمقاتلين مدربين بشكل جيد وتسليحهم وعتادهم حديث ونوعي يشبه ما لدى عناصر حزب اللّه اللبناني، ويتمتع اللواء بهيكلية تنظيمية واضحة لها قيادة تنسق مع باقي القوات التابعة للنظام وتعمل معها.

حمل اللواء اسمه نسبة إلى أبو الفضل العباس أحد أبناء الإمام علي بن أبي طالب «كرم اللّه وجهه»، الذي قُتل في معركة كربلاء، وهو رمز للتضحية والفداء لدى الشيعة. ويضم بين صفوفه مقاتلون شيعة سوريون وعراقيون ولبنانيون اجتمعوا للقتال إلى جانب النظام تحت مقولات طائفية من أهمها الدفاع العتبات المقدسة ومنها مقام السيدة زينب ومقام السيدة رقية في دمشق وضواحيها. معظم مقاتلو اللواء عراقيون ينتمون إلى جماعات عراقية مختلفة مثل عصائب أهل الحق وجيش المهدي، أما اللبنانيون فيتبعون لحزب اللّه.

لم تعترف أي جهة بتبنيها وجود مقاتلين لها على الأراضي السورية، إلا أن سقوط عناصر اللواء العراقيون واللبنانيون قتلى في المعارك، أظهر وجود قيادات سياسية وحزبية في جنازات التشييع التي تكون علنية عادةً، كما أقر وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري أكثر من مرة «بوجود مقاتلين عراقيين في سورية لكنه نفى موافقة الحكومة على ذلك».

ويُعتبر لواء أبو الفضل العباس المحطة الأولى التي يحط فيها المقاتل الوافد ليتلقى فنون القتال والتدريب قبل أن يتم إرساله إلى مجموعات أخرى على جبهات القتال. ويتمتع اللواء بهيكلية تنظيمية يقودها شخص يدعى «أبو عجيب» وهو سوري الجنسية يساعده أبو هاجر الذي سينتقل إلى لواء ذو الفقار مع أبو شهد الجبوري في مرحلة لاحقة.

لواء ذو الفقار

تعددت الروايات حول سبب تشكيل لواء ذو الفقار، ومعظمها تجتمع على أن إشكالاً حصل بين مقاتلين سوريين وعراقيين ضمن لواء أبو الفضل العباس في حزيران 2013, أدى إلى تبادل اطلاق النار بينهم وتسبب بسقوط عدد من القتلى والجرحى في صفوف المقاتلين الشيعة، وكحل للمشكلة تم تشكيل لواء ذو الفقار بقيادة عراقية بزعامة «أبو شهد الجبوري» بعد مقتل القائد الأول له «عمران أبو علي» الملقب بعمران الشمري، الذي يعتبر أحد أهم مؤسسي لواء أبو الفضل العباس وهو مقرب من قيادات الحرس الثوري الإيراني. شارك اللواء في معارك السيدة زينب والغوطة الشرقية، إلا أن دوره الأكثر وضوحاً كان في معارك النبك بقيادة أبو شهد الجبوري حيث كان في مقدمة القوات التي استعادت المنطقة من المعارضة، ويُتهم اللواء وقائده بارتكاب المجازر في معركة النبك كما ظهر في أكثر من مقطع مصور بُث على مواقع الأنترنيت والمحطات الإعلامية.

حزب اللّه العراقي «حركة النجباء»

يشارك في سوريا من خلال ثلاثة ألوية، وهي: لواء الحمد في ريف دمشق، ولواء الحسن المجتبى في ضواحي العاصمة، ولواء عمار بن ياسر في حلب، وقد طغى اسم الأخير على اسم الحزب وبقية الألوية؛ بسبب نوعية تسليحه وبطشه على الأرض، وهو تقريباً يعمل كفصيل مستقل ميدانياً.

أول الإشارات التي خرجت للعلن عن مشاركة حزب اللّه العراقي- حركة النجباء في القتال إلى جانب قوات النظام في سوريا كانت بتاريخ 2013/5/17, عندما شيَّع أنصار الحزب أول قتلاهم في سوريا وهو «أبو كرار الحميداوي» من بغداد. وغطى الحدث حينها قناة الاتجاه العراقية التابعة لـ "عصائب أهل الحق" من خلال تقرير تلفزيوني. ويجب التنويه إلى أن مقاتلي ألوية حزب اللّه العراقي في سوريا من جنسيات عدة، ففي تاريخ 2013/6/20 أعلنت الحركة عن مقتل 23 عنصراً تابعين لها، وذلك خلال «أدائهم لواجبهم المقدس» وهم: 9 سعوديين، و8 بحرينيين و6 كويتيين، بحسب مسؤول الحركة هاشم النجيب، الذي علق حينها على مشاركة الحزب، بالقول: «سنقاتل حتى نُحرق أو نُسحق كي لا تسبى السيدة زينب مرة أخرى على يد أتباع يزيد بن معاوية، وسنرسل المزيد من المقاتلين الشباب».

وقد أصدر مؤيدو حركة النجباء أغنية حماسية للفصائل التابعة لها في سوريا، حيث ذخرت بالألفاظ الحماسية والتحشيد الطائفي، مع فيديو كليب تظهر فيه عمليات الفصائل في سوريا، ومن كلمات مطلعها: (بارك اللّه بهالجهود.. أنتم لزينب جنود.. صرتوا سور يحيط بيها؛ حتى لا يرجع يلي يسبيها.. أنتم سويتم العجائب يا رجالات الكتائب).

لواء عمار بن ياسر

ظهر هذا الاسم لأول مرة في بدايات معركة القصير، وعناصره مقاتلين شيعة عراقيين، ومنطقة عمل اللواء مدينة حلب شمال سوريا، حيث توسع دور الميليشيات المقاتلة إلى جوار الأسد لتصل لمعظم المدن السورية. ويعود انتماء عناصر اللواء إلى حركة النجباء الشيعية العراقية كما يؤكد أبو وارث الموسوي المتحدث باسمها، والتي يقودها أكرم الكعبي الذي انشق وبشكل غير معلن عن عصائب أهل الحق التي يقودها قيس الخزعلي. وخاض عناصر هذا اللواء أولى معاركهم في منطقة القصير بمشاركة حزب اللّه اللبناني. اعتبر قياديون من الحركة أن «لواء عمار بن ياسر» هو من قَوّى شوكة النظام في حلب، وشكل رأس حربة له في جميع الهجمات التي شنها على عدة أحياء في مدينة حلب من خلال البراميل المتفجرة. ويعتبر أبرز قتلى اللواء ضابط عراقي متقاعد وهو حميد عبد الحسن (63 سنة) من مدينة الكاظمية، حيث قتل في حلب في مواجهات مع الجيش الحر هناك. ويتبع اللواء في قيادته الشرعية الولي الفقيه في إيران «الخامنئي».

لواء الإمام الحسن المجتبى

خرج هذا اللواء من رحم لواء أبو الفضل العباس كغيره من المجموعات الشيعية العراقية، وأعلن عن تشكيله في حزيران 2013 ومهامه العسكرية العمل على تأمين حرم طريق مطار دمشق الدولي وكان له مساهمة بارزة في معارك شبعا. ويتميز مقاتلو "لواء الإمام الحسن المجتبى" عن نظرائهم في بقية الألوية بظهورهم الإعلامي، ودون أن يغطوا وجوههم أو يطمسوها في الصور من خلال عمليات المونتاج.

لواء الحمد

وهو احد ألوية حزب اللّه العراقي، الذي يشارك في القتال في سوريا ويتمركز مقاتلوه في منطقة السيدة زينب جنوب دمشق. وعناصر لواء الحمد يعتبرون الأقل ظهوراً إعلاميا بالنسبة لبقية الألوية وكان آخر تصوير له على اليوتيوب لتشييع عدد من قتلاه في محافظة ميسان العراقية بتاريخ 2013/10/9 الذين سقطوا جنوب دمشق.

كتائب سيد الشهداء

تشكلت في بداية 3013 تحت حجة الدفاع عن مرقد السيدة زينب بتكليف شرعي من المرجع الديني لهم، وهي تتبع لمنظمة بدر الشيعية العراقية، ويتمركز مقاتلوها في مدينة دمشق حيث قتل لها العديد من العناصر في منطقة السيدة زينب وتم دفنهم في مدينة البصرة العراقية كما تؤكد مقاطع الفيديو الصادرة عن الكتائب.

لواء أسد اللّه

يعتبر من التشكيلات الحديثة العهد في الساحة السورية ويتكون من مقاتلين شيعة عراقيين، يشارك في معارك الغوطة الشرقية منطقة المليحة، ويتميز بالتسليح والعتاد المميز ومقاتلوه يرتدون شارات «سوات» التي تدل على قوات التدخل السريع العراقية التابعة للجيش العراقي، كما تشمل منطقة عمل اللواء قلب العاصمة دمشق حيث شوهد مقاتلوه في سوق الحميدية والحارات المجاورة له.

المقاتلون الأجانب «الأفغان»

تتشكل مجموعات المقاتلين الأفغان من ثلاث مصادر:

أولها اللاجئين الأفغان الشيعة المنحدرين من قومية الهزارة ويتكلمون الفارسية، والمقيمين في سوريا قرب مرقد السيدة زينب جنوب دمشق ويبلغ عددهم حوالي الألفي لاجئ وهم متواجدون في سوريا من قبل الأزمة. عمل الحرس الثوري الإيراني على تجنيدهم للقتال في الحرب السورية فشكلوا اللجان الشعبية في المنطقة, وانخرطوا في التشكيلات الشيعية الموجودة، وقد سقط العديد منهم قتلى في المعارك مع الثوار ومنهم «علي صالحي» أحد الهزارة المقيمين في سوريا.

ثاني مصدر للمقاتلين الشيعة الأفغان ينحدر من إيران، فهم في الأصل لاجئين في ايران التي تعتبر موطناً لحوالي نصف مليون من الهزارة، ويظهر من المآتم الشعبية التي أقيمت في ايران في تشرين الثاني وكانون أول 2013 للمقاتلين الأفغان الذين سقطوا في سوريا، أنهم يعيشون في مدن مختلفة من إيران، كمدينة أصفهان ومشهد وطهران كما أن احد القتلى كان طالباً جامعياً ملتحقاً بجامعة طهران ويدعى «رضا إسماعيل» وقد نشرت له صورة وهو في سوريا حاملاً بندقية.

والمصدر الثالث للمقاتلين الأفغان الشيعة هو جماعات اللاجئين في بلدان أخرى غير سوريا وايران، وقد أفادت عدة تقارير عن سعي طهران لتجنيد مواطنين شيعة أفغان للقتال مع الأسد من داخل أفغانستان، ومن جهة أخرى نشرت صورة لمقاتل لم يكشف عن اسمه حاملاً رشاش من نوع «بي كي سي» قيل أنه لاجئ أفغاني مُنح حق اللجوء في أستراليا قبل قدومه إلى سوريا والانضمام إلى الحرب لصالح الأسد.

كان المقاتلون الشيعة الأفغان يقاتلون عبر الفصائل المرتبطة مع لواء أبو الفضل العباس، إلا أنهم مع تقدم القتال وتطور الدور المنوط بهم وازدياد عدد قتلاهم عملوا على التمايز عن الفصائل الشيعية الأخرى، ففي المآتم التي أقيمت في ايران في كانون أول 2013 تم الإعلان بأن المقاتلين العشرة الذين شُيّعوا هم أعضاء في تنظيم عسكري جديد يدعى «لواء الفاطميون»، وتدل منشورات مؤيديه على أنه تنظيم خاص بتجنيد الشيعة الأفغان. ورغم نفي لواء الفاطميون وطهران تورط الحكومة الإيرانية في أنشطة التنظيم, فإضافة لكون أعمال التجنيد لا تتم في ايران فقط, فإن المواكب الجنائزية للقتلى كان يشارك فيها جنود من الحرس الثوري الإيراني بزيهم العسكري الكامل وبوجود لافتات تحمل شعار «مؤسسة شؤون الشهداء والمحاربين القدامى» الرسمية الإيرانية.

بنك الدم في سراقب

يعمل لواء الفاطميون بالتنسيق مع الفصائل المقاتلة الموالية للنظام تحت قيادة مركزية واحدة, وأتيح لعناصر اللواء المشاركة في العديد من الاشتباكات الكبرى في مختلف أنحاء سوريا، بما في اشتباكات شهر نيسان 2013 في مدينة دمشق حيث سقط العديد منهم بين قتيل وجريح وتم أسر مجموعة منهم في منطقة جوبر.

ويلاحظ أن تطور التنظيمات الخاصة بالمقاتلين الشيعة الأفغان لم يقتصر على لواء الفاطميون الذي ينضوي اليوم تحت راية تنظيم أخر غير بارز نسبياً يسمى «حزب اللّه أفغانستان». حيث تتشابه النشرات التي يصدرها التنظيمان ونسب كلاهما نفس العناصر التي قتلت في المعارك له. ويُعتبر المقاتلون الأفغان الذين يمتلكون خبرات وتجارب عالية في الحروب الطائفية التي خاضوها في أفغانستان المرشحين الأمثل لمحاربة الثوار السوريين، على الرغم من أن فعاليتهم في ساحة المعركة لم تتأكد بعد, إلا أن وجودهم المتزايد يتيح للقوات الإيرانية وغيرها التابعة لها فترات من الراحة هي بحاجة لها.

إجمالاً, يصل عدد عناصر المجموعات الشيعية المقاتلة على الأراضي السورية إلى ما يقارب 15000 مقاتل دون مقاتلي حزب اللّه اللبناني. ويصل العدد في حالات الاستنفار العام إلى ما بين 35000 – 40000 مقاتل حسب العديد من التقارير المتداولة. وقد وصل معظم هؤلاء المقاتلون إلى سوريا مدربون على القتال، وعلى استعمال مختلف أنواع الأسلحة الفردية والمتوسطة, ويتم التدريب

على حرب الشوارع والتمرس عليها في ارض المعركة. وتجدر الإشارة إلى وجود كبير وفعال لمدربين ومشرفين وخبراء اتصالات من الحرس الثوري الإيراني ويشاركون في المعارك بشكل مباشر في بعض الأحيان كما حدث في معارك حلب.

تقرير: مهلهل اسماعيل

سراقب ناحية و مدينة مهمة في محافظة ادلب من الناحية البشرية و الحيوية إضافة للجغرافيا، تحوي المدينة ثلاث مشافي عاملة أحدهما مجاني، تقع هذه المشافي في أشد مناطق الصراع حساسية، و صعوبة في سوريا، الأمر الذي ألقى عبئا كبيراً عليها من استقبال المصابين و المرضى من كافة المحافظات، ورغم أن هذه المشافي تقوم بعمل جبار وكبير يصل حتى (700) عملية شهريا الا أن حجم الاصابات الهائل في المنطقة التي شهدت تصعيداً كبيراً من قبل قوات النظام والذي استهدف منشآتها الحيوية و الطبية جعلها تحتاج الى كميات كبيرة من الدم. هذا من ضمن أسباب عديدة دعت لتأمين مصدر دائم للدم موجود، مخزن، و مفروز بدل الاعتماد على النجدة و الطلب.

أين و كيف ولدت فكرة بنك الدم ؟

يقول د. عبد الحكيم رمضان رئيس المكتب الطبي السابق في المجلس المحلي لمدينة سراقب و ريفها :

«مشروع بنك الدم هو تحت رعاية وحدة تنسيق الدعم (ACU);

تم اختيار ناحية سراقب للمشروع من قبل المكتب الطبي في مجلس محافظة ادلب نظراً لموقعها و حجم العمل الطبي فيها حيث قام المكتب الطبي في المجلس المحلي في سراقب باختيار موقع مناسب لمشروع بنك الدم و تجهيزه، حالياً المشروع يتبع إدارياً لمديرية صحة ادلب «

أعقب هذا جهود حثيثة من قبل المجلس والعاملين في الشأن الطبي لتنسيق الموضوع مضمناً بالشروط المطلوبة و العمل على اختيار الموقع و الكادر المناسبين، ساعد في هذا السمعة الجيدة التي يتمتع بها المجلس المحلي بسراقب و الأطباء العاملين على الأرض.

يقع البنك ضمن نطاق المدينة في مبنى جيد مكون من خمس غرف و ممرات و مستودع إضافة للمنافع العامة, أما العاملين فيه فهم طبيب مخبري إداري، وثلاثة فنيين مخبريين و فني تشغيل إضافة إلى مستخدم و حارس، وهو يستقبل الناس من مختلف الفئات العمرية طيلة اليوم تقريباً، يقول نايف النايف و هو أحد الفنيين في البنك «التبرع بالدم من سن الثامنة عشرة و حتى خمسين سنة، كما يستقبل المتبرعين من الساعة الثامنة صباحاً و حتى العاشرة ليلاً بطاقة استيعابية تصل الى 35 وحدة دم يوميا «

لكن نود أن نفهم كيف تتم آلية الرقابة؟ و من هو المسؤول عن متابعة التقارير؟ و لمن تُقدم ؟

يجيب الدكتور عبد الحكيم:

«يقوم الطبيب الإداري في البنك بتعبئة صيغة تقرير شهري(فورم) مرحلي عن عمل البنك للجهة الدعمة(ACU) و لمديرية صحة إدلب، حيث يقوم طبيب مندوب من الجهة الداعمة بجولات دورية على بنك الدم للتفقد و متابعة العمل، وفيما يخص الفحوص و التحليل فهي تتم ضمن البنك عبر الطبيب المخبري و الكادر و تأمين تخزينه في ظروف مثالية»

وعن وعن كلفة المشروع ومدة التمويل وعلاقة وزارة الصحة التابعة للحكومة المؤقتة قال:

الكلفة الكلية حوالي(80000) دولار (44000) دولار منها كلفة اجهزة البنك والباقي كلفة تشغيل شهري يقدر ب (9500) دولار شهريا مدة الدعم 3 أشهر مبدئيا وقابلة للتجديد والمشروع يخضع اداريا لمديرية صحة ادلب التابعة لوزارة الصحة في الحكومة المؤقتة حيث تعد المديرية الذراع التنفيذي للوزارة في الداخل.

هل يتم فحص الدم قبل اعطائه للمريض؟

طبعا لدينا فحص للايدز والتهاب الكبد والسفلس وجميع الفحوص اللازمة والتخزين المثالي وهذا ما يميز بنك الدم عن سحب المشافي.

يغطي البنك حاجة مشافي سراقب بالكامل إضافة لمشافي أخرى مثل تلمنس، بنش، جرجناز، العيس، تفتناز، باب الهوى و غيرها حيث أن البنك مستعد لتقديم الدم لمن يطلبه دون شروط، حسبما صرح أحد الأطباء المراقبين، و بالفعل تم تقديم 12 وحدة دم الى مشفى باب الهوى بالرغم من وجود بنك دم في مشفى باب الهوى بسبب حاجتهم له.

أما بما يخص النوعية و التخزين فقد اتجهنا إلى السيد الطبيب مدير المشروع و كان له الحديث التالي:

«اعتباراً من الشهر المقبل سيتم فصل مكونات الدم لتقديمها على مستوى أفضل, وبالنسبة لوحدة الدم يتم فحص كل وحدة من المتبرعين على حدة بالفحوص التالية: - التهاب الكبد B - التهاب الكبد C - سفلس - الإيدز و ذلك للتأكد من تقديم دم خالي من الأمراض التي تنتقل عن طريقه» و أضاف: «يتم سحب الدم من أشخاص أصحاء لا يعانون من أمراض، و غالباً هم من فئة الشباب على مدى الدوام المحدد، و في الحالات الاضطرارية يتم السحب 24 ساعة» التبرع سهل و واجب على من يستطيع، عدا أن أنه يحظى بدعم و ترويج جيد من الإعلامين كما يتم الدعوة للتبرع عقب المظاهرات السلمية التي تحدث بين فترة و أخرى.

محمد جعفر بادر بالتبرع قبل توجهه للعمل واصفاً شعوره بذلك :

«أحب المشاركة بكل ما أستطيع القيام به في الشأن العام، القائمون على العمل محترمون، يتم تسجيل استمارة ثم التبرع مباشرة بغرفة نظيفة و مجهزة و ما هي إلا دقائق و ينتهي هذا»

من الناحية الوظيفية هناك وظيفتين أساسيتين للبنك الأولى تأمين الدم المناسب و المفحوص و الثانية التخزين بشكل مثالي مطابق للشروط الطبية،

أما من الناحية الخدمية و الاجتماعية فإن أهم ما يميز هذا المشروع هو تقديم نموذج جيد عن التخصص و ترسيخ قواعد متينة في هذا البلد لنتمكن من تقديم الخدمات للمدنيين بأفضل صورة و أسرع طريقة، هذا الشيء الذي طالما تفردت به المدينة من تقديم المبادرات و الأولويات طيلة عمر الثورة.

أطفال سوريا باتوا يكرهون المستقبل

مها الخضور

لـم يعـد بإمـكان أحد علـى هـذه الأرض تجاهل صـور أطفالنا في الحرب التي قتلتهم منذ قرابة أربع سـنوات متواصلة، ولا تكاد نشـرات العالم الإخبارية تخلو من خبر يرسـم معاناة هـؤلاء الأطفال. أطفال حوصـروا في مناطق النزاع وشـن النظـام من جهة وأمـراء الحـرب في سـوريا مـن جهة ثانيـة حربهم القذرة ضد طفولتهم.ولم يسـتطع أهلهم وأحبتهم تجنيبهـم تلـك المعارك لا بـل إن بعضـا منهم زجّ أبنـاءه فـي الصـراع إيمانـا منه بأنـه يـؤدي واجبه «الوطني» أو «الديني»

يغمرك حـزن رهيبٍ وأنتٍ تفكر بهـؤلاء الأطفال, وجوههـم تنضح رعباً وحزناً فـي آن واحد وعيونهم تحـدق فينا نحن الكبـار وكأنها تلعننا إلـى الأبد. لم لا وهم يـرون جثـث أهليهم مقطعـة الأوصال بدل أن يلعبوا ويلونوا. وحيـن يحاولون الخروج للعب في المسـاحة الضيقة المتاحـة يكون همهـم الأول هو مراقبـة أصـوات القذائـف وتخمين مكان سـقوطها علهم يستطيعون النجاة لمتابعة لعبتهم.

يظهـر أطفـال سـوريا كل يـوم علـى الشاشـات ومـن خلفهم مشـاهد الدمار والقتـل وكأنها لقطات سـينمائية صورت بعناية في فيلـم يتحدث عن دمار العالم، لكن لا شـيء يبدو جميلا في تلك المشـاهد. حتـى ضحكاتهـم لـم تعد بريئـة علـى الاطلاق بل أصبحت قاسـية وسـاخرة ولا تخلو من مـرارة تطفو على وجوهنا نحن جمهور المتفرجين والنقاد.

ولربما تقفز إلى ذهنـك على الفور صور لأطفال يحدثونـك عن ظـروف الحصار وقسـاوة الجوع الذي يسـوقك لأن تـأكل لحم قطـة، ولربمـا تتذكر وجه طفـل تكحلت عيناه بشـيء مـن بقايـا قذيفة حتى صار كأنه مقاتل لون وجهه وموهه اسـتعداداً لقتال الخصم في إحدى المعارك...لكنه سـرعان ما ينطق بكلمـات قاتلة يرددها برتم حزيـن وفيها الكثير من الاسـتجداء وهو يقول: «أنا جوعان». حينها تعود إلى ذاتك تسـألها هل من المعقول أن يموت الناس جوعا في عصرنا هذا وكيف يسـتطيع مفكري هذا الزمان التحدث عن المدنية والتطور الحضاري.

لكـن عبـارة قالتهـا طفلـة لربما كانت أقسـى ما سـمعت من أطفال بلادي المكلومين، قالت أمل التي لم تتجـاوز العاشـرة: «أنا أكره المسـتقبل، ولا أريد أن أصبح كبيرة لأن الكبار كلهم أشـرار» سـلبت أمل كمثل أطفال سـوريا جميعا براءة طفولتها وتفاؤلها وحرمـت من التعليـم واللعب والمنـزل وبعض أفراد العائلـة. والأخطـر مـن كل ذلـك أنـه كان عليها ان تكبـر وتتحمل كل مـا تتعرض له مـن صدمات كي لا تكـون عبئـاً آخر على بقيـة أفراد أسـرتها. وحين تتحدث الآن تشعر بأن عيناها لا ترغبان بالنظر إليك مباشرة وإنما تشردان إلى الأفق البعيد وكأنها تهرب مـن هذا الزمن إلى زمان آخـر ربما يكون فيه بعض الحـب والأمان اللذان افتقدتهما منذ سـنوات و تظهر عليها علامات محاولاتها الحثيثة للابتعاد عن ذكريات مؤلمة.

وفـي صورة أخـرى يطالعـك وجه عـز الدين في فيلم وثائقي لقناة بي بي سي وهو يقول:»أنا فقط طفل بالعمر، اثنتا عشـرة عـام، ولكني في الحقيقة انا مجاهد وأتحمل مسـؤوليات الرجال» حينها تشعر بالصدمة كيف اسـتطاعت هذه الحـرب اللعينة إقناع الضحايـا بالتنـازل عن كل حقوقهـم واللحاق بركب المقاتلين. تشعر بكثير من التشاؤوم، ولربما كرهت المسـتقبل الذي ينتظر هؤلاء الأطفـال الناجين من أتـون حـرب لم تقم على أيـة قواعـد أو قوانين مما درج عليـه البشـر في حروبهـم. لقد تعلـم أطفالنا كيف يكرهون وكيف يقتلون. ولم تعد تغريهم ألعاب الأطفـال الآخرين في بقية المعمـورة لأن ظروفهم تختلـف. وأي تفـاؤل يسـتطيع الوصـول إلـى قلبك وأنت تفكر بطفل عمره عشـر سنوات أو أكثر بقليل يقـوم بدفن الجثث مع والده وكأنه يسـاعده في ري المزروعات في الحقل.

وفـي أثنـاء حديثي إلى أحـد الأطفال السـوريين النازحيـن إلـى تركيـا، حدثنـي عن معارك شـهدها واقتحامات نفذتها قوات النظام في قريته. وشـعرت أنه يروي ما جرى معه دون أية مشـاعر خوف وسأته عـن السـبب فأجابنـي على الفـور: «أطفال سـوريا يولـدون شـجعان ولا يخافـون من شـيء، ثـم إنهم يتأقلمـون مـع أي وضـع جديـد فـي حياتهـم بدون مشـاكل» ولكنه ولربما شـعر بمبالغتـه في الحديث فاعترف مباشـرة وبكلام لا يخلو من السخرية قائلا: «الحقيقـة كان الخوف يملأ قلبي ولكني ربما تعودت على رواية قصتي وتعلمت كيف أخفي خوفي وأبقيه بداخلي».

لربمـا كان حري بنـا جميعا الوقـوف على جريمة قتـل طفولـة أبنائنـا، إنـه جيـل كامل فقـد الأمل والرغبة بالاستمرار في الحياة، وهؤلاء هم مستقبل سـوريا كلها. فأية حروب نخوضها في سـبيل تدمير مستقبلنا، إن حروبنا كلها خاسرة وكلما استمرت مدة أطول كلما اشـتدت حلكة مستقبلنا وازدادت قتامته. لـذا لا بد لنا مـن ترك كرسـي الجمهـور المتفرج او المحلل السياسي والالتفات إلى كل المجرمين الذين يسـاهمون في قتل مسـتقبل أطفالنا. لنحدد عدونا الـذي هو بـكل تأكيد عدو هـؤلاء الأطفال وسـارق بـراءة طفولتهم. لا يمكن لنـا وعلى وجه الخصوص السياسـيون منا ممن يدعون حرصهـم على الوطن والمواطنين، لا يحق لهؤلاء الاستمرار في مهاتراتهم السياسـية والقبول بما يمليه عليهم الغير دون أدنى تفكير برأي أي مواطن سوري. أعتقد أنه آن أوان خلع هؤلاء وتعريتهم فلربما كانـوا قتلة أكثر من القاتل الذي بيده السـلاح، لأنهم وبكل بسـاطة لا يكترثون لموت أحلام أطفالهم.

إنهم السوريون وهم يحصون مجازرهم ..مجزرة جديدة عرطوز

"جديدة عرطوز"... جميع الجثث كانت بالبيجامات

روزا ياسين حسن
جريدة المستقبل

رغم الدخان القاتم ورائحة الحرائق التي تعمّ الجو فوقنا، قال لي ابن عمي: «انزل لنرى ما حدث». كانت قد مرّت ساعات ونحن مختبئون في بيوتنا، فئران مذعورة لا نجرؤ على الخروج. قالوا إنهم يقتلون كل من يخرج من الحارة القديمة في «جديدة عرطوز»1! وكانت ثمة بيوت تحترق حولنا منذ صباح اليوم الجمعة. رأيت سحب الدخان وشممت رائحتها.

باتجاه بساتين الزيتون كانت مجموعات من النساء والأطفال تهرول، القليل من الرجال معهم، ولحقناهم. كان يبدو أنهم يلهثون باتجاه محدد.. هناك قريباً من البساتين كانت وجهتهم، فقد وقفت سيارات السوزوكي قرب بعضها. كانت سيارات مليئة بالجثث المغطاة بحرامات وشراشف ملونة، عشرات الحرامات الملونة الهاجعة. صعدت امرأة من الراكضات إلى السوزوكي، رفعت ثوبها الطويل الأسود واندسّت بين الجثث، وصارت ترفع الحرامات عن وجوه القتلى: حرام وراء حرام، تعيده لترفع الآخر. الجثة الخامسة، التي كانت تفتح عينيها على سعتهما باتجاه السماء، كانت جثة زوجها على ما يبدو.. لم أعرف المرأة، قالوا لي إنها من عائلة «مربية»، ولكنها طوّقت الوجه الشاحب وراحت تشتم وتصرخ من دون بكاء.. كان لون وجهها قريباً من لون وجهه!

أحد شباب عائلة «بلال» كان يركض بين السوزوكيات، رأيته قادماً من بعيد مرتدياً بيجاما. ثم راح يرفع الحرام هذا ويرفع الحرام ذاك، وجهه كان شاحباً كشبح وخال تماماً من التعابير. أردت أن أناديه لألقي التحية عليه، رغم أنه لا مكان للتحية الآن، لكنه كان قد رفع حراماً آخر ثم جلس على الأرض، وراح يبكي بصوت عالٍ، ممسكاً برأسه بين يديه. حين اقتربت منه كان «عبد القادر بلال» ممدداً هناك. لا يشبه من أعرفه أبداً، يشبه دمية محزوزة العنق، متفاجئة ومخيفة.

الأقدام شاحبة وجافة تبدو من تحت الحرامات! ورأيت ابن جيراننا، ذاك الشاب الأسمر، نسيت اسمه، وعيناه تنظران بثبات إلى فوق. قربه «فاروق البقاعي» ممدداً، رأسه مفتوحة، ودماغه خارج منها على أرض السوزوكي. يبدو أنهم ضربوه كثيراً منذ اعتقاله يوم الأربعاء قبل يومين، فقد كانت أقدامه حافية ومتورمة من تحت الشرشف الأبيض الذي يغطّيه، والبيجاما التي يرتديها ملوثة بالدم.

كان ثمة حرام أحمر يضمّ شاباً من عائلة «السماوي» يرتدي بيجاما أيضاً، وحرام آخر كان مزيناً بالورود مليئاً بنثرات الفحم. حينما رفعه أحدهم رأيت أكتاف شاب وفوقها كتلة من الفحم «المكرنشة»، كان ينبغي أن تكون رأسه! دماغه كان متفحّماً، ومازالت رائحة الشواء تعبق في الجو حولها. قالوا إنه «طارق بلال» أو ربما «خالد البقاعي» لأن الاثنين تم حرقهما كما شاع، وكان ثمة سبعة عشر شاباً قتلوا خلال اليومين السابقين من عائلة «البقاعي» وحدها. ثم أتى رجل لا أعرفه، وتعرّف على الجثة المحترقة من شحّاطتها وبيجامتها.. كان ابنه، هذا ما كان يهذي به وهو يلطم قربه.

«من بيت مين يا عمي؟»..

صاحوا وهو لا يردّ.. من بيت مين يا حج؟!!». ولم يردّ أيضاً.

جميع الجثث كانت ترتدي بيجامات! فقد كانت في بيوتها ساعة اعتقالها أو موتها. أنا أيضاً كنت أرتدي بيجاما وابن عمي كذلك. وكنا مازلنا في البيجامات حين وقفنا مذهولين بجانب المقبرة الجماعية، تلك الحفرة الطولية التي تم استحداثها بين أشجار الزيتون لتستوعب كامل الضحايا الذين فقدتهم «الجديدة» خلال يومين. كان ثمة شيخ عجوز يقول لسائل:

«لم ندفنهم في مقبرة الضيعة حتى لا يعدّوا لنا كميناً ويقتلوا المزيد منا.. سندفنهم هنا من دون تشييع.. شبعنا موت.. حاج بيكفي..»

ونحن هناك نشهد تنزيل الجثث بجانب الجثث صرخ أحدهم من بعيد: «جثة أخرى مرمية قرب الخزان.. يالله يا شباب» فانطلقت سوزوكي مع شابين إليها.

المجزرة أمر سهل جداً.. هذا ما اكتشفته. من السهل أن ترتكب المجازر في بلادنا. حاصر المنطقة وادخل لتقتل الناس. رصاصة رصاصة.. طق طق.. وينتهي الأمر. لا يوجد عزاء، لا يوجد تشييع، لا يوجد أحد في الشوارع.. هكذا تكون المجازر، وكل ما تتركه للباقين رائحة خوف حامضة تملأ الفضاء.

هذا جزء من رواية (ن) عما حصل في «جديدة عرطوز» وهو من سكانها. لكن حينما ستسأل عنصراً من النظام عن سبب مجزرة «جديدة عرطوز» سيقول إنها بسبب ما فعله «الإرهابيون» من ضرب لمخفر الشرطة هناك. وكيف أخرج الثوار المسلحون بعض العناصر من المخفر وقتلوهم، ثم دخلوا وفجروا المخفر. كما أنهم وفي يوم الأحد 7/29 قتلوا عميداً وعنصرين من عناصره، وظلت جثته حوالي الساعتين في السيارة من دون أن يأتي أحد ليأخذها.

لكن المجزرتين اللتين وقعتا في «الجديدة» يوم الأربعاء 8/1 ويوم الجمعة الذي يليه، لم تحصلا بين صفوف الثوار المسلحين، كانوا قد انسحبوا من كامل المنطقة. المجزرة طالت الشباب الذين في بيوتهم، فلو كانوا مسلحين لما حدثت المجزرتان هكذا بمنتهى البساطة. قبل حوالي الأسبوعين، مثلاً، في أول يوم في رمضان بدأت مداهمة «جديدة عرطوز» بفوج 100 مع عناصر «المساكن»، ومعهم ثلاث دبابات تمركزت في شارع الجلاء وشارع غالب مربية ومنطقة البساتين. فحصلت اشتباكات قتل على إثرها اثنا عشر عنصراً من أمن النظام، كما استولى الثوار على سيارتين عسكريتين ورشاش «دوشكا».

الأمن السوري أخذ عناصره الذين قتلوا في ذلك اليوم، عمل على نزع ثيابهم العسكرية، وتركهم بالملابس الداخلية. وخلال لحظات خرجت الكاميرا من الدبابة، ثم صورت الجثث المتراكمة وذهبت مع الدبابات. فيما بعد عُرضت تلك الصور في الإعلام السوري على أنها لمجموعة من الإرهابيين قام النظام بتصفيتهم!

بعد ساعتين من الاشتباكات تم اعتقال الطبيب زياد البقاعي، والشاب يوسف غنيم، وهو نجار من سكان الجديدة عمره لا يتجاوز الثانية والعشرين. يوسف غنيم كان شاباً فاتح اللون بشعر أصهب، بعد مقتله عُرضت صوره في الإعلام السوري على أساس أنه مجاهد أفغاني أتى للجهاد في سوريا! الأربعاء 8/1 صباحاً بدأت بوادر المجزرة الأولى.

ساد هدوء شديد في المنطقة، لم تُقطع الكهرباء كالعادة ذلك اليوم، وبقيت طائرة هليكوبتر تدور في السماء فوق «الجديدة» لأكثر من خمس ساعات، بعد أن أطلق الفوج 100 خمس قذائف على مشارف الجديدة باتجاه البساتين عند ساعات الفجر الأولى.

الساعة الثالثة بعد الظهر دخلوا «جديدة عرطوز»: آلاف العناصر وعشرات الدبابات. كانت عناصر من الفرقة الرابعة تؤازرهم، يضعون شارات بيضاء على أيديهم وخوذهم. وصار الناس يدورون على البيوت ويقولون للشباب إن الجيش يداهم المنطقة: كل من هو تحت الأربعين ليهرب.. لكن الكثير من الشباب بقوا في بيوتهم، فهم لم يفعلوا شيئاً، باستثناء مظاهرة من هنا ونشاط طفيف من هناك. وهذا ما فكرتُ فيه

أيضاً: «أنا لم أفعل شيئاً يستوجب الخوف.. سأبقى في بيتي». لكنهم عادوا وقالوا لي هناك خمسة وسبعون شاباً تم اعتقالهم من الحارات المجاورة وليس لهم علاقة بشيء.. أهرب. فهربت.

كانت أصوات تكسير إقفال المحلات تصمّنا: طلقة على القفل، ثم تُكسّر الواجهات وتُنهب المحلات. جاء صديقي وأقنعني بالهرب إلى البساتين. رأيت الشباب يركضون إلى السهل، حيث أشجار الزيتون تواريناً. وكان هناك حاجز لرجال النظام في نهاية شارع الدير، وحاجز آخر في الاتجاه المقابل. كان يبدو جلياً أنهم يريدون حصر الشباب في السهل، ولكن ما من مفرّ أمامنا. قعدنا في السهل تحت الأشجار، ثم مرّ شاب ملثّم بكوفية مرقّطة على دراجة نارية، نظر إلينا ملياً وذهب. بعد أقل من عشر دقائق نزلت قذيفة علينا، وقفز التراب والحجارة في وجوهنا. هربنا بالعشرات إلى الاتجاه الآخر رغم أني لم أعد أرى بعيني، كان الغبار يعميني، وسمعت صوت إطلاق رصاص، كان يزداد سرعة واقتراباً، وأحسست برفيقي يأخذني من يدي إلى اليمين ثم نعود أدراجنا إلى الزيتون، فقد كان ثمة حاجز آخر أمامنا يطلق الرصاص علينا.

عيناي تحترقان فأغمضهما، وأسمع أصوات مرور الدبابات على الزفت، أصوات قذائف بعيدة، أصوات إطلاق رصاص من هنا وهناك. كانت السيارات المصفحة والدبابات قد حاصرت البساتين، ولكني استطعت الهرب. حاولت إقناع صديقي بالهرب معي لكنه لم يقبل. قلت له: «إذا متنا فليعرف أهلنا بأننا متنا.. على الأقل». لكنه أصرّ على البقاء في البساتين.

كل من بقي هناك قتل، الكثير منهم ذبحاً بالسكاكين. «محمد الخطيب» و«عبد الرزاق بلال» وجدا مشنوقين بأسلاك الهاتف على أحد أشجار الزيتون. في هذه الأثناء، وأنا أمر قرب الساحة مهرولاً، كانت عناصر النظام تأتي بالشباب من بيوتها إلى الساحة. غالبيتهم بالبيجامات. كانوا حوالي المائة والخمسين شاباً، كما قدّرت، كوّموهم وهم مقيدو الأيدي إلى خلف ظهورهم، وراحوا يدعسون عليهم، ويزعقون صائحين: «بدكن حرية؟»... ويشتمون ويشتمون. أصواتهم الزاعقة والصمت المحيط ظلاً يلاحقانني وأنا أهرب باتجاه المجهول.

فيما بعد عرفت بأن سبعة عشر شاباً تمّ اختيارهم ليذهبوا إلى مدرسة «غالب مربية الجديدة». أخذوهم مع الدبابات والعناصر. وحين لم يستطيع عناصر النظام فتح باب المدرسة، اقتحموها بالدبابة وفتحوا ثغرة فيها. ما زالت الثغرة شاهدة حتى اليوم. هناك صفّوا الشباب على حائط المدرسة الداخلي، وضعوا كنزاتهم على رؤوسهم، فأضحوا أشبه بالمكبّلين «المطمّشين». خرج مصور من بينهم ومعه كاميرا محمولة، صوّرهم بسرعة وانسحب، لتنطلق نار الرشاشات وتدرز أجساد الشباب السبعة عشر. فقتلوا جميعاً.

لم يكتشف أهالي «جديدة عرطوز» مجزرة المدرسة إلا بعد انسحاب الجيش من المنطقة. ولم يكتشفوا القصة إلا بعد أن عرض الإعلام الرسمي صور أولادهم أحياء مصطفين على حائط المدرسة، على أساس أنهم إرهابيون مسلحون تم أسرهم بجهود الجيش (الباسل).

عدت إلى البيت ولبثت انتظر الموت. لكنهم لم يأتوا. بعد ساعات طويلة، أطول من دهر، صرت أسمع أصواتاً تدور على البيوت: «يا ناس اطلعوا تعرّفوا على شبابكم.. عاملين مجزرة.. يا ناس».

خرج الأهالي إلى البساتين ليبحثوا عن أولادهم، وكنت أهمّ بالخروج لأطمئن على رفاقي، ولكن إطلاق الرصاص راح يلعلع، فقد كانت حواجز الجيش ما تزال منصوبة تطلق النار علينا مباشرة، فمات منا من مات. على بعد أمتار قليلة مني كان ثمة رجل بنصف رأس، وقد خرج دماغه قانياً على الإسفلت. كنت أشعر بأن جسدي خارج عن إرادتي، وفي الوقت الذي كنت أظن فيه أنني سأقع فور رؤيتي لمشاهد مشابهة، تحرك جسدي مبتعداً على قدمين مهرولتين لا تأتمران بأمري.. الآن وأنا أتذكر كل ما رأيته أشعر بأني لم أعشه! إنه أشبه بكابوس فظيع.

بجانب جامع العمري القديم كان ثمة عسكري لم يستطع أن يطلق النار على الناس هكذا ببساطة. فقتلوه. رُميت جثته في قبو بناية مجاورة، ثم رمي فوقه أربعة مدنيين تم قتلهم، وأشعلت النار في الجثث الخمس. كانت رائحة الحرق تفوح في المنطقة كلها. ولم يتم اكتشافهم حتى المغرب، فقد صارت أخبار المجزرة تتناهى إلينا. حينما تأكدنا بأن الجيش والأمن انسحبوا، خرجنا من بيوتنا.. وكنت مع الخارجين.

في تلك الليلة عثر الأهالي على عشرات الشباب مقتولين في الأقبية المهجورة. كانت «جديدة عرطوز» مفعمة برائحة حرائق وبارود وموت وخوف يهيمن على الوجوه والأرواح.

في نهاية يوم الأربعاء كان ثمة خمس وأربعون جثة تم اكتشافها قبل أن يأتي المساء. تكوّمت بجانب بعضها أرتالاً في جامع خديجة. وهناك كان صديقي ممدداً ورأسه بجانبه.. لا أعلم إن كانت قد قطعته شظية أو سكين أو.. لا أعلم. ما أعرفه أني لمحته من بعيد وهربت.

قبل أن ينتهي الليل تم اكتشاف ثماني جثث أخرى ، لتصبح الحصيلة اثنين وخمسين شاباً. مكبرات الصوت تنادي على الناس أن تذهب لتتعرف على أولادها في الجامع، فالكثير من الجثث غير معروفة أو مشوّهة فليتعرف أهلها عليها من ثيابها أو أحذيتها!

اليوم لا أعرف إن كان ينبغي أن أفرح لأني نجوت وغيري قتل، أم أحزن لأن غيري قتل وأنا بقيت شاهداً على كل ما حدث! لا أعرف إن كان علي أن أفرح أم أحزن لأني حدت عن الموت الآتي بلمح البصر إلينا.

خلال الأيام القليلة الماضية «هجّ» معظم أهالي «جديدة عرطوز» من بيوتهم، وكأن المدينة القديمة خلت من ساكنيها. الخوف هو من سكن في أمكنتنا، الخوف من كل شيء حتى من الحديث عما حصل في المجزرة.. وكأن شباب الجديدة الذين سقطوا صرعى الطغاة يسقطون مرة أخرى بصمتنا.

غصّ (ع) بكلماته وصمت. ثم أشاح بوجهه بعيداً عنّا.

جديدة عرطوز هي بلدة في ريف دمشق، تقع جنوب العاصمة السورية، تحدها شمالاً معضمية الشام.

من سيكتب قصة الريح التي هزت الأرض السوريّة؟

د.سماح هداية

الفيلم الإنجليزي (الريح التي تهز القش«The Wind That Shakes the Barley») الذي أخرجه البريطاني «كين لوتش» وأنتجه عام 2006 ورجع فيه إلى الماضي إلى انتفاضة أيرلندا في العشرين من القرن العشرين، ليصور الصراع والمقاومة المسلحة في إيرلندا ضد الاحتلال البريطاني، هو فيلم رائع مذهل في واقعيته الاجتماعية والنفسية وفي خطابه الوجداني داخل سياق سياسي... لكنه مخيف مرعب حتى الصدمة في رهافة صدقه في تصوير الحقيقة ورصد الجانب الإنساني للصراع ضد الاحتلال والظلم .

كنت شاهدت الفيلمThe Wind That Shakes the Barley منذ سنوات قبل عرضه في منتدى مداد السينمائي، حين صفعني في الصميم أول مرة، فوجدت نفسي عاجزة عن كبح الغضب والألم، وعن منع التأسي من هول المأساة الإنسانية والأخلاقية والسياسية التي يرصدها الفيلم وينقلها لعين المشاهد وقلبه ...

الآن، وبفعل الأحداث العظيمة في أوطاننا، أعود لاسترجاع ذاكرة الفيلم ومشاهدته من جديد، لكن بنقد موضوعي واستصار وجداني ،بعد أن وسّعت الآلام خارطة الصبر في مساحة أرواحنا وحواسنا وتجاربنا... في الفيلم محاكاة لواقعنا وإنساننا وبعض حربنا الشرسة...أقف عند الفيلم قليلا، من أجل تأمل مشهدنا السياسي والإنساني والأخلاقي بحقيقته العارية الصادمة من دون تجميل ومن دون أقنعة...فالفيلم، في معظم مشاهده وخطابه، وخصوصا في مشهد قتل الأخ الثائر لأخيه يحاكينا ويكتب عن جزء من مأساتنا وحربنا وضراوة معركتنا.

لا يكتفي الفيلم، كما قيل عنه، يوضع الخطوط الحمراء حتى لايتجاوزها الإنسان والثائر والمقاتل ..ولا يكتفي بدق أجراس الإنذار والخطر... بل يكشف بقسوة شديدة عن وحشيّة الجريمة التي يؤسس لها نظام القهر السياسي الطغياني، ويطلقها للتوسّع الشيطاني في ظل الحروب الأهليّة، التي تستطيع فك اللحمة الإنسانية والوطنيّة وتنجح في تقسيم المجتمع و تفتيت الشعب والعوائل، وفي تحويل الإنسان إلى عدو شرس لأخيه بالدم واللحم،..حين نترك الأخ يقتل أخاه بوحشية لا نظير لها غير عابىء بأي من روابط الأخوّة..

الأخوان البطلان في الفيلم تشاركا المصير والحياة والنضال وحاربا جنبا إلى جنب ضد قوات الاحتلال في وحدات المقاومة في الجيش الجمهوري الإيرلندي الذي كان يتصدى للقوات البريطانية ويحارب من أجل نيل الحرية والاستقلال ..وخاضا أشد الآلام معا .....ولكن بعد توقيع الايرلنديين معاهدة مع الانجليز تمنح إيرلندا استقلالا منقوصا مشروطا، تصاعد الصراع ليصطدم الثوار ببعضهم، وهنا تبدأ المشكلة الكبيرة بالتأزّم وتحريك الفيلم. فيبدأ الانقسام ويتحول الانقسام والصراع بين أخوة السلاح والنضال والمعاناة بين:

- الذين يرون ان المعاهدة تطيح بأحلام الحرية والعدالة وتبقي إيرلندا الشمالية تحت الاحتلال الانجليزي وتحت الولاء للملك البريطاني، فيرفضون هذه الاتفاقية لتناقضها مع طموحاتهم وأحلامهم في استقلال كامل وفي تأسيس جمهورية عادلة اجتماعيا واقتصاديا...

- وبين الذين يرون أن المعاهدة مقبولة تتيح بناء كيان سياسي إيرلندي وسلطة تحافظ على مصالحهم وتحميهم من نتائج سيئة لحرب شاملة غير متكافئة تشنها بريطانيا عليهم. وراحوا يشكّلون حكومة وشرطة تقوم بملاحقة الرافضين للمعاهدة ، وتتهمهم بالانشقاق والعمل على تدمير الكيان السياسي الإيرلندي الجديد؛ فيلقى الأخ داميان من رجال الفريق الأول الرافض للاستسلام مصرعه في مشهد وحشي، على يدي شقيقه «تيدي» من رجال الفريق الثاني الموقع على المعاهدة ، عندما حكم عليه بالإعدام ونفّذه. في لحظة درامية من أشد الأحداث والمشاهد تأثيرا وإيلاما وقوة .

الفيلم يصور فظائع مروعة وأشكال تعذيب مريعة يرتكبها الجنود البريطانيون وقواتهم العسكرية في المدنيين الإيرلنديين العزّل، ويرصد وحشية لا تعرف رحمة فيفتح

الجراح بعنف وجرأة. ويصور بواقعية شديدة إرهاب الجنود الإنجليز وهم يقتلون الثوار الإيرلنديين...ثم يصور وحشية الاقتتال الأهلي ؛ لكنّه يعطي قيمة كبيرة لبسالة الرجال الثوار وبطولاتهم ، ولشجاعة نساء الريف الايرلندي اللواتي يقمن بأدوار كبيرة في دعم الثورة ومساعدة الثوار وتوفير المأوى والمأكل والسلاح أحيانا. كما يفسح للحب والعاطفة مجالا شفافا وعميقا لمنح المشهد المأساوي الدموي فسحة أمل وقطعة جمال خارج السياق الموجع ، وخارج الأمكنة المحبوسة في بؤس وضيق نظر، عبر امتداد الحقول البديعة التي تسحر الناظر بعناصر جمالها

لعل الأقوى في خطاب الفيلم وإبداعه إلمشهدي ليس فقط في الشاعرية والشعرية، بل الروح التسجيلية الشفافة المستندة إلى وقائع تاريخية موثّقة ودقيقة عن الثورة الإيرلندية ضد قوات الاحتلال البريطانية، بالإضافة إلى توخي الأصالة والدقة التاريخية في إنجاز الفيلم..ورغم الحزن المقيت ومشهد إعدام فظ وحشي يبقى هناك أفق للأمل في الكفاح الإنساني من أجل الحرية والعدل ومقاومة الظلم والغطرسة

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر